وأخرجه الأمويُّ في المغازي من طريق ابن إسحاق من رواية عمير بن معبد بن فلان الجذامي عن أبيه نحوه، كما في الإصابة (٣/ ٤٤١).

قصصه ﷺ في الأخلاق والأعمال المفضية إلى هداية الناس

إسلام زيد بن سعنة الحبر[١] الإسرائيليّ رضي الله عنه

أخرج الطبرانيّ عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: إنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ لما أراد هَدْيَ زيد بن سُعْنَة قال زيد بن سُعْنة: ما مِنْ علامات النبوّة شيءٌ إلاّ وقد عرفتها في وجه محمد ﷺ حين نظرت إليه إلاّ اثنتين لم أخبرهما منه: يَسبقُ حلْمُهُ جَهْلَهُ، ولا تَزيدُ شدّة الجهل عليه إلا حلْماً. قال زيد بن سُعْنة: فخرج رسولُ الله ﷺ يوماً من الحجرات[٢] ـ ومعه عليّ بن أبي طالب ـ فأتاه رجلٌ على راحلته كالبدويّ، فقال: يا رسولَ الله، لي نَفَرٌ في قريةِ بني فلان قد أسلموا ودخلوا في الإسلام، وكنت حَدَّثْتُهُمْ إنْ أسلموا أتاهُمُ الرِّزْقُ رَغَداً[٣]. وقد أصابتهم سَنَة[٤] وشدّةٌ وَقَحْطٌ من الغيث، فأنا أخشى ـ يا رسولَ الله ـ أن يخرجوا من الإسلام طمعاً كما دَخَلُوا فيه طمعاً؛ فإن رأيتَ أن تُرْسِلَ إليهم بشيءٍ تغيثهم به فعلتَ. فنظر إلى رجلٍ إلى جانبه ـ أراه عليّاً ـ فقال: يا رسولَ الله! ما بقي منه شيءٌ. قال زيد بن سُعْنة: فدنوتُ إليه فقلت: يا محمد، هل لك أن تبيعني تمراً معلوماً في حائط بني فلان إلى أَجَلٍ معلوم، إلى أجل كذا وكذا. قال: «لا تُسمّ حائط بني فلان»[٥] قلت: نعم، فبايعني فأطلقتُ هِمْياني[٦] فأعطيتُهُ ثمانينَ مثقالاً من ذَهَبٍ في تمر معلومٍ إلى أَجَل كذا وكذا فأعطى الرَّجُلَ[٧] وقال: «اعْدِلْ عَلَيْهِمْ وَأَغِثْهُمْ».

قال زيد بن سُعْنة: فلما كان قبل محلّ الأَجَل بيومين أو ثلاثة خرج رسول الله ﷺ ومعه أبو بكرٍ وَعُمَرُ وعثمانُ رضي الله عنهم في نفر من أصحابه، فلما صلّى على الجنازة ودنا إلى الجدار ليجلس إليه أتيته، فأخذتُهُ بمجامعِ قَميصِهِ وردائه ونظرتُ إليه بوجه غليظٍ،

---

(١) الحبر: هو عالم اليهود.

(٢) الحجرات: جمع حجرة وهي منازل أزواج النبيّ ﷺ وكانت خارجة من المسجد مديرة به إلا من المغرب.

(٣) رغداً: أي واسعاً.

(٤) سنة: جدب.

(٥) حائط: بستان، والبيع هنا، بيع سلَم، وهو إعطاء المال في سلعة إلى أجل معلوم.

(٦) الهميان: كيس تجعل فيه النفقة ويُشد على الوسط.

(٧) في الأصل «فأعطاني الرحل» وهو تصحيف والتصويب من «جمع الفوائد» و «الدلائل» والرجل هنا هو المستقيض طالب المال.

وقلت له: يا محمد، ألا تَقْضِيني حَقِّي؟ فوالله، ما عَلِمْتُمْ بني عبد المطّلب إلا مطلاً، ولقد كان لي[1] بمخالطتكم علم. ونظرت إلى عمر وعيناه تَدُورَانِ في وجهه كالفَلَكِ المستدير[2]، ثم رماني ببصره فقال: يا عدوَّ الله، أتقولُ لرسول الله ﷺ ما أسْمَعُ؟ وَتَصْنَعُ به ما أرى؟ فوالذي نفسي بيده، لولا ما أحاذِرُ فَوْتَهُ[3] لضربتُ بسيفي رأسَك، ورسولُ الله ﷺ ينظرُ إليّ في سكون وتؤدة. فقال: «يا عمر، أنا وَهُوَ كُنّا أحْوَجَ إلى غَيرِ هذا؛ أنْ تأمُرَني بِحُسْنِ الأداءِ وَتأمُرَهُ بحسن اتّباعِه. اذهَبْ به يا عمر، فأعطه حقَّه وزِدْهُ عشرين صاعاً من تمر مكان ما رُعْتَهُ»[4].

قال زيد: فذهب بي عمر فأعطاني حقّي وزادني عشرين صاعاً من تمر. فقلت: ما هذه الزيادة يا عمر؟! قال: أمرني رسولُ الله ﷺ أن أزيدك مكان ما رُعْتُكَ، قال: قلتُ وتعرفني يا عمر؟! قال: لا. قلت: أنا زيدُ بن سُعْنة. قال: الحَبْرُ؟ قلت: الحَبْرُ. قال: فما دَعاك إلى أنْ فعلتَ برسول الله ما فعلتَ، وقلتَ له ما قلتَ؟! قلت: يا عمر، لم يكن من علاماتِ النبوّة شيء إلا وقد عرفتُ في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين، لم أخبرهما منه: يسبقُ حلْمُهُ جَهْلَهُ، ولا تَزِيدُهُ شدّةُ الجَهْلِ عليه إلاّ حلْماً. وقد اختبرتهما، فأُشْهِدُكَ - يا عُمَرُ - أنّي قد رضيتُ باللّهِ ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، وَأُشْهِدُكَ أنّ شَطْرَ مالي - فإنّي أكْثَرُهما[5] - مالاً صَدَقَةٌ على أمّةِ محمدٍ ﷺ، قال عمر: أو على بَعْضِهِمْ فإنّكَ لا تَسَعُهُمْ، قلت: أوْ عَلى بَعْضِهِمْ. فرجع عمر وزيد إلى رسولِ الله ﷺ، فقال زيد: أشهد أنْ لا إلهَ إلا اللّهُ وأشهدُ أنّ محمداً عبده ورسوله. وآمن به وَصَدَّقَهُ وبايعه، وشهد معه مشاهدَ كثيرة؛ ثم توفي في غزوة تبوك مقبلاً غَيْرَ مدبر رحم الله زيداً قال الهيثميّ (٨/ ٢٤٠): رواه الطبراني ورجاله ثقات؛ وروى ابن ماجه منه طرفاً. انتهى.

وأخرجه أيضاً ابن حِبّان والحاكم وأبو الشيخ في كتاب أخلاق النبيّ ﷺ وغيرهم كما في الإصابة (١/ ٥٦٦) وقال: ورجالُ الإسناد موثّقون، وقد صرّح الوليد فيه بالتحديث، ومداره على محمد بن أبي السَّرِيّ الراوي له عن الوليد. وثّقه ابن معين، ولَيّنه أبو حاتم. وقال ابن عديّ: محمد كثير الغلط. والله أعلم. ووجدت لقصّته شاهداً من وجه آخر لكن

(١) ليس في الأصل «لي» وهي من «الدلائل».
(٢) أي كموج البحر وهو عبارة عن الاضطراب والتغضب.
(٣) أي أن ينقض الصلح بين المسلمين واليهود.
(٤) رعته: أفزعته.
(٥) أي أكثر أهل المدينة.

لم يُسمّ فيه، قال ابن سعد: حدثنا يزيد، حدثنا جرير بن حازم، حدثني من سمع الزهريَّ يحدِّث أن يهودياً قال: ما كان بقي شيءٌ من نَعْتِ محمد ﷺ في التوراة إلا رأيته؛ إلا الحلم... فذكر القصة. انتهى. وأخرجه أبو نُعَيم في الدلائل (ص ٢٣).

قصة صلح الحديبية[١]

ذكر ما كان من قريش وصدهم رسول الله ﷺ عن زيارة البيت

أخرجَ البخاريُّ عن المِسْوَرِ بن مَخْرَمَةَ ومروان[٢] قالا: خرج رسولُ الله ﷺ زَمَنَ الحُدَيبية، حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبيُّ ﷺ: «إنَّ خالد بن الوَليد بالغَميم[٣] في خَيلٍ لِقُرَيشٍ طَليعَة[٤]، فَخُذوا ذاتَ اليَمين». فَوالله ما شَعر بهم خالد حتى إذا هم بقَتَرَة الجيش[٥]، فانطلق يركضُ نذيراً لقريش. وسار النبيّ ﷺ حتى إذا كان بالثَّنِيَّة التي هبط عليهم منها بركت به راحلته. فقال الناسُ: حَلْ، حَلْ[٦]، فألحَتْ. فقالوا: خَلأَتِ القَصْوَاءُ[٧]!! خَلأَتِ القَصْوَاءُ، فقال رسول الله ﷺ: «ما خَلأَتِ القَصْوَاءُ، وَمَا ذَاكَ لها بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَها حابِسُ الفِيلِ». ثم قال: «والذي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا يَسْأَلُوني خُطَّة[٨] يُعَظِّمُونَ فيها حُرُماتِ اللَّهِ إلا أَعْطَيْتُهُمْ إياها» ثم زَجَرَها فوثبت، فَعَدَلَ عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثَمَدٍ[٩] قليلِ الماء... يَتَبَرَّضُهُ تَبَرُّضاً[١٠]؛ فلم يَلْبَثْه الناس حتى نَزَحُوهُ[١١]. وشُكِيَ إلى رسول الله ﷺ العطشُ فانتزعَ سهماً من كِنانَتِهِ ثم أَمَرَهُمْ أن يجعلوه فيه، فوالله، ما زالَ يجيشُ[١٢] لهم بالريّ حتى صدروا عنه.

---

(١) الحُدَيْبِيَة: سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ تحتها، بينها وبين مكة مرحلة، وبينها وبين المدينة تسع مراحل. (عن معجم البلدان).

(٢) هو مروان بن الحكم. «حاشية البخاري».

(٣) الغميم: موضع قريب من مكة.

(٤) طليعة الجيش: أي مقدمة الجيش.

(٥) قترة الجيش: غبرة الجيش.

(٦) حَلْ، حَلْ: كلمة تقال للناقة إذا تركت السير.

(٧) خلأت: حرنت. الخلاء للنوق كالإلحاح للجمال، والجران للدواب. يقال: خلأت الناقة، وألحّ الجمل، وحرن الفرس. والقصواء: لقب ناقة رسول الله ﷺ.

(٨) خطة: خصلة. «حاشية البخاري».

(٩) الثمد: حفرة فيها ماء قليل.

(١٠) يتبرضه: يأخذه قليلاً قليلاً.

(١١) نزحوه: أي أنفدوه.

(١٢) يجيش: يفور ماءه.

خبر بُدَيل معه عليه السلام

فبينما هم كذلك إذ جاء بُدَيل بن ورقاء الخُزاعيُ في نفر من قومه من خُزاعة ـ وكانوا عَيبَةَ[١] نُصح رَسُولِ الله ﷺ من أهل تِهامَة ـ فقال: إني تركتُ كَعْبَ بن لُؤَيّ، وعامر بنَ لُؤَيّ[٢] نزلوا أعداد مياه الحديبية، مَعَهُمُ العُوذُ المطافِيلَ[٣]، وهم مُقاتِلُوكَ وَصَادُّوكَ عن البَيْتِ. فقال النبيُ ﷺ: «إنَّا لم نَجِىءْ لِقتالِ أَحَدٍ، وَلٰكِنْ جِئْنا مُعْتَمِرِينَ؛ وَإنَّ قُرَيْشاً قَدْ نَهَكَتْهُمْ[٤] الحَرْبُ وَأَضَرَّتْ بِهِمْ، فإن شاؤُوا مادَدْتُهُمْ[٥] مُدَّةً وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ، فإنْ أَظْهَرْ فإنْ شاؤُوا أنْ يَدْخُلُوا فيما دَخَلَ فيهِ النَّاسُ فَعَلُوا وإلاّ فَقَدْ جَمُّوا[٦]، وإنْ هُمْ أَبَوْا فَوَالذي نَفْسِي بِيَدِهِ، لأُقاتِلَنَّهُمْ على أمْرِي هذا حَتَّى تَنْفَرِدَ سالِفَتِي[٧] وَلَيُنْفِذَنَّ اللهُ أَمْرَهُ[٨]. قال بديلٌ: سأبلغهم ما تقولُ. فانطلق حتى أتى قريشاً فقال: إنَّا قد جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناهُ يقولُ قولاً، فإنْ شئتم أن نَعْرِضَهُ عليكم فَعَلْنا. فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تُخبرنا عنه بشيءٍ. وقال ذوو الرأي[٩] منهم: هاتِ ما سمعتَهُ يقولُ. قال: سمعتُهُ يقول كذا وكذا، فحدَّثهم بما قال رسولُ الله ﷺ.

خبر عروة بن مسعود معه عليه السلام

فقام عُرْوَة بن مسعود فقال: أي قوم، ألَسْتُم بالوالِدِ؟ قالوا: بلى، قال: ألستُ بالولد؟؟ قالوا: بلى. قال: فهل تَتَّهِمُوني؟ قالوا: لا. قال: ألستم تعلمونَ أني استنفرتُ[١٠] أهلَ عكاظ، فلما بلَّحوا[١١] عليَّ جِئْتُكُم بأهلي وَوَلَدي ومن أطاعني. قالوا: بلى، قال: فإنَّ هذا عَرَضَ لكم خُطَّةَ رشدٍ[١٢] اقبلوها ودعوني آتيه. فقالوا: ائته. فأتاهُ، فجعل يكلِّم النبيَّ

(١) عيبة نصح: أي أنهم كانوا موضع النصح له والأمانة على سره.
(٢) هما فخذان من قريش.
(٣) المراد هنا والله أعلم هو أنهم خرجوا بالنساء والأطفال ليكون أقوى في القتال وعدم الفرار.
(٤) نهكتهم: أضعفتهم.
(٥) مادتهم: جعلت بيني وبينهم مدة.
(٦) جَمّوا: أي استراحوا من جهد القتال.
(٧) السالفة: مقدمة العنق.
(٨) أي ليُمضيَنّ الله أمره في نصر دينه.
(٩) في الأصل «ذو الرأي» والتصويب من «البداية».
(١٠) استنفرت: أي دعوتهم إلى نصركم.
(١١) بلّحوا: أي أبوا كأنهم قد أعيوا عن الخروج معه وإعانته.
(١٢) خطة رشد: خصلة خير وصلاح وإنصاف.

ﷺ، فقال النبيُّ ﷺ نحواً من قوله لبُدَيل. فقال عروة عند ذلك: أيْ محمد، أرأيت أن استأصَلْتَ أمر قومك هل سمعتَ بأحدٍ من العرب اجتاح[١] أهلَهُ قَبْلَكَ؟ وإن تَكُنِ الأخرى فإني ـ والله ـ لا أرى وجوهاً، وإني لأرى أشواباً[٢] من الناس خليقاً أن يَفِرُّوا وَيَدَعُوكَ. فقال له أبو بكر رضي الله عنه: امصَصْ بَظْرَ[٣] اللاتِ، أنَحْنُ نَفِرُّ عنه وَنَدَعُهُ؟! قال: من ذا؟ قال: أبو بكر. قال: أما والذي نفسي بيده، لولا يدٌ كانت لك عندي لم أجْزِك بها لأجَبْتُكَ. قال: وجعل يكلِّم النبيَّ ﷺ فكلَّما تكلم أخذ بلحيته ـ والمغيرةُ بن شعبة قائم على رأس رسول الله ﷺ ومعه السيفُ وعليه المِغْفَرُ[٤] ـ فكلَّما أهْوَى عُروة بيده إلى لحية رسول الله ﷺ ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ وقال له: أخِّرْ يَدَكَ عن لحيةِ رسول الله ﷺ، فرفَعَ عُرْوَةُ رأسه فقال: من هذا؟ قالوا: المغيرة بن شعبة!! فقال: أيْ غُدَرُ[٥]!! ألَسْتُ أسْعَى في غَدْرَتِكَ؟ ـ وكان المغيرة بن شعبة صَحِبَ قوماً في الجاهلية فَقَتَلَهُمْ وأخذَ أموالَهُمْ ثم جاء فأسْلَمَ، فقال النبيُّ ﷺ: «أما الإسلام فَأَقْبَل، وَأمّا المالُ فَلَسْتُ مِنْهُ في شَيْءٍ» ـ ثم إنَّ عروة جعلَ يَرْمُقُ[٦] أصحابَ رسول الله ﷺ بعينيه. قال ـ فواللهِ ـ ما تَنَخَّمَ رسولُ الله ﷺ نخامةً إلا وقعت في كَفِّ رجل منهم فدلكَ بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وُضُوئِهِ، وإذا تكلَّم خَفَضُوا أصْوَاتَهُمْ عنده وما يُحِدُّونَ[٧] إليه النَّظَرَ تعظيماً له. فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أيْ قَوْمِ، واللّهِ، لقد وفدتُ على الملوك، وَفَدْتُ على قيصر وكسرى والنجاشي، واللّهِ إنْ رأيتُ مَلِكاً قطُّ يُعَظِّمُهُ أصحابه ما يعظمُ أصحابُ محمد محمداً، والله إنْ تنخَّمَ نخامةً[٨] إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضُوئِهِ، وإذا تكلَّم خَفَضُوا أصواتَهُمْ عنده، وما يُحِدُّونَ النَّظَرَ إليه تعظيماً له؛ وإنه قد عَرَضَ عليكم خطَّةَ رشدٍ فاقبلوها.

خبر رجل من بني كنانة معه عليه السلام

فقال رجلٌ من بني كنانة دعوني آتيه. فقالوا: ائته. فلما أشْرَفَ على النبيِّ ﷺ

---

(١) اجتاح: أي أهلك أصله بالكلية.

(٢) أشواباً: أي الأخلاط من الناس والرعاع.

(٣) البظر: قطعة تبقى في فرج المرأة بعد الختان، وهذه سُبَّة عظيمة.

(٤) المغفر: زَرَد من حديد يوضع على الرأس ولا تظهر منه إلا العيون يحمي الوجه والرأس عند القتال.

(٥) أي غدر: أي يا غادر وهذه اللفظة للمبالغة في الغدر.

(٦) يرمق: يلحظ بمؤخرة العين.

(٧) يحدُّون: يديمون والمعنى لا يملؤون أعينهم منه استحياء منه ﷺ.

(٨) النخامة: بصاق غليظ.

وأصحابه قال رسول الله ﷺ: «هذا فلان وهو من قوم يُعَظِّمُونَ البُدْنَ[١] فابعثوها له» فَبُعِثَتْ له واستقبله الناسُ يُلَبُّونَ. فلما رأى ذلك قال: سبحانَ الله، ما ينبغي لهؤلاء أن يُصَدُّوا عَنِ البَيْتِ!! فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيتُ البُدْنَ قد قُلِّدَتْ وأُشْعِرَتْ[٢]، فما أرى أن يُصدُّوا عن البيت. فقام رجل منهم ـ يقال له مِكْرَز بن حفص ـ فقال: دعوني آتيه. قالوا: ائته، فلما أشْرَفَ عليهم قال رسول الله ﷺ: «هذا مِكْرِزٌ وَهُوَ رَجُلٌ فاجِرٌ» فجعلَ يكلم النبي ﷺ فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيلُ بن عمرو.

خبر سُهيل بن عمرو معه عليه السلام وشروط صلح الحديبية

قال معمر: فأخبرني أيوب عن عِكرمة: أنه لما جاء سُهل بن عمرو قال رسولُ الله ﷺ: «لقد سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ». قال معمر: قال الزهريّ في حديثه: فجاء سهيلٌ فقال: هاتِ فاكتب بيننا وبينكم كتاباً، فدعا النبيُّ ﷺ الكاتب، فقال النبيُّ ﷺ: اكْتُبْ[٣] «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ». فقال سهيل: أما الرحمنُ فواللّهِ ما أدري ما هو؟ ولكن اكتب: باسْمِكَ اللهمّ كما كنتَ تكتبُ. فقال المسلمون: واللّهِ لا نكتبها إلا باسم الله الرحمن الرحيم. فقال النبي ﷺ: «اكْتُبْ باسْمِكَ اللَّهُمَّ»، ثم قال: «هذا ما قاضَى عَلَيْهِ[٤] مُحَمَّدٌ رسولُ الله». فقال سهيلٌ: والله لو كنّا نعلم أنك رسولُ الله ما صَدَدْناكَ عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله. فقال رسولُ الله ﷺ: «واللّهِ إنّي لَرَسُولُ الله وإنْ كَذَّبْتُمُوني، اكْتُبْ: محمد بن عبد الله». ـ قال الزُهريّ: وذلك لقوله: «لا يَسْألوني خطةً يُعَظِّمُونَ فيها حُرُماتِ الله إلا أَعْطَيْتُهُمْ إيّاها» ـ. فقال النبيُّ ﷺ: «عَلَى أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنا وَبَيْنَ البَيْتِ فَنَطُوفَ بِهِ». قال سهيل: والله لا تتحدث العربُ أنّا أُخِذْنا ضَغْطَة، ولكنَّ ذلك من العام المقبل، فكتب. فقال سهيل: وعلى أنه لا يأتيكَ منّا رجلٌ وإنْ كانَ على دينك إلا رددته إلينا. قال المسلمون: سبحانَ الله، كَيْفَ يُرَدُّ إلى المشركين وقد جاء مُسْلِماً؟!.

قصة أبي جَنْدل رضي الله عنه

فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جَنْدَل بن سُهَيْلِ بن عمرو رضي الله عنه يَزْسُفُ[٥] في

(١) البُدْن: تطلق على الجمل والناقة والبقر.
(٢) التقليد: هو وضع شيء في العنق ليعلم أنها هدي والإشعار: هو الطعن في السنام فيسيل منه الدم ليعلم أيضاً أنه هدي.
(٣) الكاتب هو سيدنا علي رضي الله عنه.
(٤) قاضى عليه: أي أمضى أمرهما عليه.
(٥) يزسف: يمشي مشي المقيَّد.

قيوده، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهُرِ المسلمين. فقال سهيلٌ: هذا يا محمد ـ أوّل من أقاضِيكَ عليه أن تَرُدَّه إليّ، فقال النبيُّ ﷺ: إنا لم نَقْضِ[1] الكتاب بَعْدُ». قال: فوالله إذاً لم أصالحك على شيء أبداً. قال النبيُّ ﷺ: «فأجزه لي» قال: ما أنا بمجيزه لك. قال: «بلى فافعَلْ. قال: ما أنا بفاعل. قال مِكْرَزٌ: بلى قد أجزناه لك. قال أبو جندل: أي معشر المسلمين، أُردُّ إلى المشركين وقد جئت مسلماً؟! ألا تَرَوْن ما قد لقيت ـ وكان قد عُذِّب عذاباً شديداً في الله ـ فقال عمر: فأتيتُ رسولَ الله ﷺ فقلت: ألست نبيَّ الله حَقّاً؟ قال: «بَلَى» قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلِمَ نُعطي الدَّنِيَّة[2] في ديننا إذن؟ قال: «إنِّي رَسُولُ اللهِ وَلَسْتُ أعصِيهِ وَهُوَ ناصِرِي». قلت: أولستَ كُنتَ تُحدِّثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «بلى، فأخبرتُكَ أنا نأتِيهِ العامَ؟» قال: قلت: لا، قال: «فإنَّك آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ». قال: فأتيتُ أبا بكر فقلت: يا أبا بكر، أليس هذا نبيَّ الله حقاً؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قال: قلت: فلِمَ نعطي الدنية في ديننا إذن؟ قال: أيُّها الرجل، إنه لَرَسُولُ الله، وليس يَعْصِي رَبَّهُ، وهو ناصِرُه فاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ[3]، فوالله إنه على الحقّ. قلت: أليس كان يحدّثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى. فأخبرك أنك تأتيه العام؟ فقلت: لا. قال: فإنَّك آتيهِ ومطَوِّف به. قال عمر: فعملتُ لذلك أعمالاً. قال: فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قُومُوا فَانْحَرُوا ثم احلِقُوا». قال: فوالله ما قام منهم رجلٌ حتى قال ذلك ثلاث مرات[4]. فلما لم يقم أحد دَخَلَ على أمّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، فذكر لها ما لقي من الناس. فقالت أمُّ سلمة[5]: يا نبيّ الله، أتحبُّ ذلك؟ اخرج، ثم لا تكلِّم أحداً منهم كلمة حتى تَنْحَرَ بُدْنَكَ وَتَدْعُوَ حالقك فيحلقك. فخرج فلم يكلِّم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بُدْنه، ودعا حالقه فحلقه. فلمّا رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضُهم يَحلِقُ بَعْضاً، حتى كان بعضهم يقتلُ بعضاً غمّاً. ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ

---

(١) لم نقض الكتاب: أي لم نفرغ من كتابته.

(٢) الدنيّة: النقيصة والخصلة الخسيسة.

(٣) غَرْزه: بفتح الغين المعجمة وسكون الراء، والمراد به: التمسك بأمره وترك المخالفة له كالذي يمسك بركاب الفارس فلا يفارقه.

(٤) هذا ذهول منهم وكانوا ينتظرون حدث من الله ليتمّ لهم نسكهم ولكنهم لما رأوا الرسول ﷺ يحلق علموا أنه لا منتظر فقاموا وامتثلوا الأمر والله أعلم.

(٥) في هذا جواز مشاورة النساء، وفضل السيدة أم سلمة رضي الله عنها ووفور عقلها.

المؤمناتُ مُهاجِرَاتٍ فامْتَحِنُوهُنَّ﴾ حتى بلغ ﴿بِعِصَمِ الكَوافِرِ﴾[١] فطلّق عمرُ يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك، فتزوّج إحداهما معاويةُ بن أبي سفيان والأخرى صفوانُ بن أمية.

خبر أبي بصير مع الرجلين اللذين أرسلا في طلبه

ثم رجع النبيّ ﷺ إلى المدينة فجاءه أبو بصير رضي الله عنه - رجلٌ من قريش وهو مسلم - فأرسلوا في طلبه رجلين، فقالوا: العَهْدَ الذي جعلتَ لنا، فدفعه إلى الرجلين، فخرجا به حتى بلغا ذا الحُليفة[٢] فنزلوا يأكلون من تمر لهم. فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيداً!! فاستلّه الآخر فقال: أجل - والله - إنه لجيدٌ، لقد جَرَّبتُ به ثم جَرَّبتُ. فقال أبو بصير: أرِني أنظُرْ إليه. فأمكنه منه، فضربه حتى بَرَدَ[٣]، وفرّ الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو، فقال رسول الله ﷺ حين رآه: «لَقَدْ رَأَى هٰذا ذُعْراً»[٤]، فلما انتهى إلى النبيّ ﷺ قال: قُتل - والله - صاحبي وإني لمقتول، فجاء أبو بصير فقال: يا نبيّ الله، قد - والله - أوفى الله ذمتك، قد رددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم. فقال النبيّ ﷺ: «وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَرَ حَرْبٍ[٥]! لو كانَ لَهُ أَحَدٌ»، فلما سمع ذلك عرف أنه سيردّه إليهم فخرج حتى أتى سِيفَ[٦] البحر.

لحوق أبي جندل بأبي بصير واعتراضهما لعير قريش

قال: وَيَنْفَلِتُ[٧] منهم أبو جندل بن سهيل بن عمرو رضي الله عنه فَلَحِقَ بأبي بصير، فجعل لا يخرج من قريشٍ رجلٌ، قد أسلم إلا لحقَ بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة، فوالله ما يسمعون بِعِيرٍ خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم. فأرسلت قريشٌ إلى النبيّ ﷺ تناشده[٨] باللّهِ والرَّحِم لَمَا[٩] أرسل إليهم فمن أتاه فهو آمن.

---

(١) [٦٠/ سورة الممتحنة/ ١٠].

(٢) ذو الحليفة: قرية بينها وبين المدينة ستة أميال، أو سبعة، ومنها ميقات أهل المدينة ويقال لها اليوم: أبيار علي.

(٣) برد: مات ووقف دمه.

(٤) ذعراً: فزعاً.

(٥) مسعر النار والحرب: هيجها وألهبها.

(٦) سيف البحر: أي الساحل.

(٧) ينفلت: يتخلص.

(٨) تناشده: تسأله وتطلبه.

(٩) لمّا: هنا بمعنى إلا.

فأرسل النبيُّ ﷺ إليهم فأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ حتى بلغ ﴿الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾[١] وكانت حميتهم أنهم لم يقرّوا أنه نبيُّ الله، ولم يقرّوا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالُوا بينهم وبين البيت.

قال ابن كثير في البداية (٤/ ١٧٧): هذا سياق فيه زيادات وفوائد حسنة ليست في رواية ابن إسحاق عن الزهريّ، انتهى. وأخرجه البيهقيّ (٩/ ٢١٨) أيضاً بطوله.

إرساله ﷺ عثمان إلى مكة بعد النزول بالحديبية

وأخرج ابن عساكر وابن أبي شيبة عن عُروة رضي الله عنه في نزول النبيّ ﷺ بالحديبية قال: وفزعت قريشٌ لنزوله عليهم، وأحبّ رسول الله ﷺ أن يبعث إليهم رجلاً من أصحابه، فدعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليبعثه إليهم، فقال: يا رسولَ الله، إنّي لألعنهم وليس أحد بمكة من بني كعب يغضبُ لي إن أُوذيت، فأرسِلْ عثمان فإنّ عشيرته بها وإنهُ يُبَلِّغ لك ما أردت. فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان فأرسله إلى قريش، وقال: أخبرهم أنّا لم نأتِ لقتال وإنما جئنا عُمّاراً وادعُهُمْ إلى الإسلام». وأمره أن يأتي رجالاً بمكة من المؤمنين ونساءً مؤمنات، فيدخل عليهم ويبشّرهم بالفتح، ويخبرهم أنّ الله جل ثناؤه يوشك أن يُظهر دينه بمكة حتى لا يُستخفى فيها بالإيمان تثبيتاً يُثبّتهم. قال: فانطلق عثمان فمرَّ على قريش ببلدح[٢]. فقالت قريشٌ: أين؟ قال: بعثني رسول الله ﷺ إليكم لأدْعُوَكُمْ إلى الله عَزَّ وَجَلَّ وإلى الإسلام، ونخبركم أنّا لم نأتِ لقتالِ أحدٍ وإنما جئنا عُمّاراً[٣]. فدعاهم عثمان كما أمره ﷺ، فقالوا: قد سمعنا ما تقول فانفُذْ لحاجتك. وقام إليه أبانُ بن سَعِيدِ بن العاص فرحّبَ به وأسْرَجَ فرسه، فحمل عثمان على الفرس فأجاره[٤] وردفه أبان حتى جاء مكة. ثم إنَّ قريشاً بعثوا بُدَيل بن ورقاء الخزاعيّ وأخا بني كنانة ثم جاء عروة بن مسعود الثقفي ـ فذكر الحديث؛ كما في كنز العمال (٥/ ٢٨٨). وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة من وجه آخر بطوله ـ عن عروة، كما في كنز العمال أيضاً (٥/ ٢٩٠). وأخرجه البيهقيّ (٩/ ٢٢١) عن موسى بن عقبة بنحوه.

قول عمر في صلح الحديبية

وأخرج ابن سعد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله

---

(١) [٤٨/ سورة الفتح/ ٢٤ ـ ٢٦].

(٢) بلدح: اسم موضع بالحجاز قرب مكة المكرمة.

(٣) عمّاراً: معتمرين.

(٤) فأجاره: أي جعله في حمايته وأمانه.

عنه: لقد صالح رسول الله ﷺ أهل مكة على صلح وأعطاهم شيئاً، لو أنَّ نبيَّ الله ﷺ أمَر عليَّ أميراً فصنع الذي صنع نبيُّ الله ما سمعتُ ولا أطعتُ، وكان الذي جعل لهم أنَّ مَنْ لَحِقَ من الكفار بالمسلمين ردّوه، ومن لحق بالكفار لم يردُّوه!!. كذا في كنز العمال (٥/ ٢٨٦) وقال: سنده صحيح.

قول أبي بكر في صلح الحديبية

وأخرج ابن عساكر عن الواقدي قال: كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول: ما كان فَتح أعظم في الإسلام من فتح الحديبية، ولكن الناس يومئذ قَصُرَ[١] رأيهم عمّا كان بين محمد وربه، والعباد يَعْجَلون والله لا يعجل كعجلة العباد حتى يُبلغ الأمور ما أراد. لقد نظرتُ إلى سُهيل بن عمرو في حِجّة الوداع قائماً عند المنحر[٢] يُقَرِّبُ إلى رسول الله ﷺ بُدْنَهُ ورسولُ الله ﷺ نحرها بيده، ودعا الحلاق فحلق رأسه؛ وأنظر إلى سهيل يلتقطُ من شَعره وأراه يَضَعُهُ على عَيْنَيْهِ، وأذكر إباءه[٣] أنْ يُقرَّ يوم الحديبية بأن يكتب: بسم الله الرحمن الرحيم ويأبى أن يكتب: محمد رسول الله ﷺ، فحمدت الله الذي هداه للإسلام. كذا في كنز العمال (٥/ ٢٨٦).

قصة إسلام عمرو بن العاص رضي الله عنه

أخرج ابن إسحاق عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: لما انصرفنا يومَ الأحزاب عن الخندق جمعت رجالاً من قريش كانوا يرون رأيي ويسمعون مني، فقلت لهم: تعلمون - والله - إنّي أرى أمر محمد يعلو الأمور علوّاً منكراً، وإنّي لقد رأيتُ أمراً فما تَرَون فيه؟ قالوا: وما رأيت؟ قال: رأيت أن نَلحَق بالنجاشي فنكونَ عنده، فإنْ ظهر محمد على قومنا كنّا عند النجاشي، فإنا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يَدَي محمد؛ وإن ظهر قومُنا فنحن من قد عرفوا فلن يأتينا منهم إلا خير. قالوا: إنَّ هذا لرأيٌ. قلت: فاجمعوا لنا ما نهدي له، فكان أحبَّ ما يُهدى إليه من أرضنا الأدَمُ[٤]، فجمعنا له أدَماً كثيراً ثم خرجنا حتى قدمنا عليه، فوالله، إنّا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضَّمْريّ وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه. قال: فدخل عليه ثم خرج من عنده. قال: فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أمية لو قد دخلت على النجاشي فسألته إياه فأعطانيه فضربت

---

(١) قصر: عجز.
(٢) المنحر: موضع نحر الهدي بمنى.
(٣) إباءه: امتناعه.
(٤) الأدَم: الجلد المدبوغ.

عنقه، فإذا فعلتُ رأتْ قريش أني قد أجزأت عنها حين قتلتُ رسول محمد، قال: فدخلتُ عليه فسجدت له كما كنت أصنع. فقال مرحباً بصديقي: هل أهديت لي من بلادك شيئاً؟ قال: قلت: نعم، أيها الملك، قد أهديتُ لك أدماً كثيراً. قال: ثم قرّبته إليه فأعجبه واشتهاه. ثم قلت له: أيها الملك، إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك وهو رسول رجل عدوٌ لنا؛ فأعطنيه لأقتله فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا. قال: فغضب، ثم مدَّ يده فضرب بها أنفه ضربةً ظننت أنه قد كسره؛ فلو انشقَّت الأرض لدخلت فيها فَرَقاً[1]. ثم قلت: أيها الملك، والله لو ظننت أنَّكَ تكره هذا ما سألْتُكَهُ. قال: أتسألني أنْ أعطيَكَ رسولَ رجل يأتيه الناموس الأكبر[2] الذي كان يأتي موسى فتقتله؟! قال: قلت: أيها الملك، أكذاكَ هُوَ؟! قال: ويحك! يا عمرو، أطعني واتَّبِعْهُ فإنَّهُ ـ والله ـ لَعلى الحقّ، وليظهرنَّ على من خالفه كما ظهر موسى بن عمران على فرعون وجنوده. قال: قلت: أفتبايعني له على الإسلام؟ قال: نعم. فبسط يده فبايعته على الإسلام. ثم خرجت على أصحابي وقد حال[3] رأيي عما كان عليه وكتمت أصحابي إسلامي. ثم خرجتُ عامداً إلى رسول الله ﷺ لأسلم، فَلَقِيتُ خالد بن الوليد وذلك قُبيلَ الفتح وهو مقبلٌ من مكة. فقلت: أين يا أبا سليمان؟ فقال: والله، لقد استقام المِيسَم[4]، وإن الرجلَ لنبيٌ، أذهبُ ـ واللهِ ـ أسلم فَحَتَّى متى؟ قال: قلتُ: والله، ما جئت إلا لأُسْلِمَ. قال: فقدمنا المدينة على النبيِّ ﷺ فتقدَّمَ خالد بن الوليد فأسلم وبايع، ثم دنوت فقلت: يا رسول الله، إني أبايعك على أن تغفر لي ما تقدم من ذنبي ولا أذكر ما تأخر. قال: فقال رسول الله ﷺ: يا عمرو، «بايعْ فإنَّ الإسْلامَ يَجُبُّ[5] ما كانَ قَبْلَهُ، وإنَّ الهِجْرَةَ تَجُبُّ ما كانَ قَبْلَها». قال: فبايعتُه ثم انصرفتُ. كذا في البداية (٤/ ١٤٢). وأخرجه أيضاً أحمد والطبراني عن عمرو نحوه ـ مطولاً. قال الهيثميّ (٩/ ٣٥١): ورجالهما ثقات. انتهى.

وأخرج البيهقيّ من طريق الواقديّ بأبسط منه وأحسن، وفي حديثه: ثم مضيتُ حتى إذا كنت بالهدّة[6]، فإذا رجلان قد سبقاني بغير كثير يريدان منزلاً، وأحدهما داخل في

(١) فرقاً: خوفاً.
(٢) الناموس الأكبر: هو جبريل عليه السلام.
(٣) حال: تغير وانقلب «مختار الصحاح».
(٤) استقام الميسم: أي ظهرت العلامة وتبيّن الطريق.
(٥) يجبُّ: أي يهدم.
(٦) الهدّة: اسم موضع بالحجاز بين مكة والطائف. «معجم البلدان».

الخيمة والآخر يمسك الراحلتين. قال: فنظرت فإذا خالد بن الوليد. قال: قلتُ: أين تريد؟ قال: محمداً، دخل الناس في الإسلام فلم يبق أحد به طعم[١]، والله، لو أقمت لأُجذَ[٢] برقابنا كما يؤخذ برقبة الضَّبُع في مغارتها. قلت: وأنا ـ والله ـ قد أردتُ محمداً وأردتُ الإسلام. فخرج عثمان بن طلحة فَرَحَّبَ بي، فنزلنا جميعاً في المنزل. ثم اتفقنا حتى أتينا المدينة، فما أنسَ قول رجل لقيناه ببشر أبي عتبة يصيح: يا رباح، يا رباح، يا رباح!! فتفاءلنا بقوله وسرَّنا، ثم نظر إلينا فأسمعه يقولُ: قد أعطت مكة المقادة بعد هذين، وظننت أنه يعنيني ويعني خالد بن الوليد، وولَّى مدبراً إلى المسجد سريعاً. فظننتُ أنه بَشَّرَ رسول الله ﷺ بقدومنا، فكان كما ظننتُ. وأنخنا بالحرة فَلَبِسْنا من صالح ثيابنا، ثم نُودِيَ بالعصر فانطلقنا حتى أطلعنا عليه وإنَّ لِوَجْهِهِ تَهَلُّلاً والمسلمون حوله قد سُرُّوا بإسلامنا، فتقدم خالد ابن الوليد فبايع، ثم تقدم عثمان بن طلحة فبايع، ثم تقدمت، فوالله، ما هو إلاَّ أن جلست بين يديه فما استطعت أن أرفع طرفي حياء منه، قال: فبايعته على أن يغفر لي ما تقدَّم من ذنبي ولم يحضرني ما تأخر. فقال: «إن الإسلام يجبُّ ما كان قبله، والهجرة تجبُّ ما كان قبلها». قال: فوالله، ما عَدَلَ بي رسول الله ﷺ وبخالد بن الوليد أحداً من أصحابه في أمر حَزَبَهُ[٣] منذ أسلمنا. كذا في البداية (٤/ ٢٣٧).

قصة إسلام خالد بن الوليد رضي الله عنه

أخرج الواقدي عن خالدٍ رضي الله عنه قال: لمّا أراد الله بي ما أرادَ من الخير قذف في قلبي الإسلامَ وحضرني رُشْدِي، فقلت: قد شهدتُ هذه المواطنَ كلَّها على محمد ﷺ، فليس من موطن أشهده إلا أنصرفُ وأنا أرى في نفسي أني مُوضِعُ[٤] في غير شيء وأنَّ محمداً سَيَظْهَرُ. فلما خرج رسول الله ﷺ إلى الحديبية خرجت في خيل من المشركين فلقيتُ رسول الله ﷺ في أصحابه بعسفان، فقمت بإزائه، وتعرضت له. فصلَّى بأصحابه الظهر أمامنا فهممنا أن نُغِيرَ عليهم ثم لم يَعزم لنا ـ وكانت فيه خِيرة ـ، فاطَّلع على ما في أنفسنا من الهمِّ به. فصلَّى بأصحابه صلاة العصر: صلاة الخوف. فوقع ذلك منّا موقعاً، وقلت: الرجل ممنوع، فاعتزلنا وعَدَل عن سير خيلنا وأخذ ذات اليمين. فلما صالح قريشاً

(١) ذو طعم: أي ذو عقل وحزم.
(٢) في الأصل: «لآخذه»، ولعله أُجذَ: بالماضي المجهول.
(٣) حزبه: ألمّ به أمر شديد.
(٤) مُوضِع: أي أعمل دون جدوى.

بالحديبية ودافَعَتْهُ قُرَيْشٌ بالرِّواح[١] قلت في نفسي: أيَّ شيءٍ بقي؟ أين أذهب؟: إلى النجاشي؛ فقد اتبع محمداً وأصحابه عنده آمنون!! فأخرج إلى هرقل، فأخرج من ديني إلى نصرانية أو يهودية، فأقيمُ في عجم، أفأقيم في داري بمن بقي؟. فأنا في ذلك إذ دخل رسول الله ﷺ مكة في عمرة القضية[٢]، فغيَّبْتُ ولم أشهد دخوله، وكان أخي الوليدُ بن الوليد قد دخل مع النبيّ ﷺ في عمرة القضية، فطلبني فلم يجدني فكتب إليّ كتاباً فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد: فإني لم أرَ أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام، وعقلك عقلك! ومثل الإسلام جهله أحد؟! وقد سألني رسولُ الله ﷺ عنك؛ وقال: أين خالدٌ؟ فقلت: يأتي الله به. فقال: «مِثْلُهُ جَهِلَ الإِسْلامَ؟! وَلَوْ كَانَ جَعَلَ نِكَايَتَهُ[٣] وَجِدَّهُ[٤] مَعَ المسلمينَ كانَ خَيراً لَهُ، وَلَقَدَّمْنَاهُ عَلى غَيْرِهِ» فاستدرك يا أخي ما قد فاتَكَ من مواطِنَ صالحة.

قال: فلما جاءني كتابه نشطتُ[٥] للخروج، وزادني رغبة في الإسلام، وسرَّني سؤال رسول الله ﷺ عني، وأرى في النوم كأني في بلاد ضيقة مُجْدِبَةٍ، فخرجتُ في بلاد خضراء واسعة، فقلت: إنَّ هذه لرؤيا. فلما أن قدمت المدينة قلت: لأذكرنَّها لأبي بكر[٦] فقال: مَخْرَجُكَ الذي هداك الله للإسلام والضيق الذي كنتَ فيه من الشِّرك.

قال: فلما أجمعت الخروج إلى رسول الله ﷺ قلتُ: مَنْ أصاحِبُ إلى رسول الله ﷺ؟ فلَقيت صفوانَ بن أمية، فقلت: يا أبا وَهْبٍ، أما ترى ما نحن فيه؟ إنَّما نحن كأضْراسِ[٧]، وقد ظهر محمدٌ على العرب والعجم. فلو قدمنا على محمد واتبعناه فإنَّ شَرَفَ محمدٍ لنا شَرَفٌ. فأبى أشد الإباء، فقال: لو لم يبق غيري ما اتبعته أبداً. فافترقنا، وقلت: هذا رجل قُتل أخوه وأبوه ببدر. فلقيتُ عكرمة بن أبي جهل، فقلت له مثل ما قلت لصفوان بن أمية، فقال لي مثل ما قال صفوان بن أمية. قلت: فاكتم عليَّ. قال: لا أذكره،

---

(١) أي زاحمته قريش للرجوع.

(٢) عمرة القضية: عمره كانت في ذي القعدة سنة سبع وكانت مكان العمرة التي صُدَّ الرسول عليه السلام عنها.

(٣) النكاية: هي كثرة الجراح والقتل.

(٤) جدّه: جهده.

(٥) نشطت: خففت وأسرعت.

(٦) كان أبو بكر رضي الله عنه مشهوراً بتعبير الرؤيا.

(٧) كأضراس: أي أصبحنا قلة، ويضرب المثل للقلة بالأضراس لقلتها.

فخرجتُ إلى منزلي فأمرت براحلتي فخرجتُ بها إلى أنْ لقيت عثمان بن طلحة. فقلت: إن هذا لي صديق فلو ذكرتُ له ما أرجو. ثم ذكرتُ من قتل من آبائه فكرهتُ أن أذكره. ثم قلت: وما عليَّ؟ وأنا راحلٌ مِنْ ساعتي. فذكرت له ما صار الأمر إليه، فقلت: إنما نحنُ بمنزلة ثعلبٍ في جُحْرٍ لو صُبَّ فيه ذَنُوبٌ[1] من ماءٍ لَخَرَجَ، وقلت له نحواً مما قلت لصاحبيَّ، فأسْرَعَ الإجابة. وقلت له: إني غدوت اليوم وأنا أريد أنْ أغدو وهذه راحلتي بفجِّ مناخة. قال: فَانْعَذتُ[2] أنا وهو يأجج[3] إن سبقني أقام وإن سبقتُهُ أقمتُ عليه. قال: فأدلجنا سَحَراً فلم يطلع الفجر حتى التقينا بيأجج. فغدونا حتى انتهينا إلى الهدّة، فنجد عمرو بن العاص بها. قال: مرحباً بالقوم! فقلنا: وبك. فقال: إلى أين مسيرُكم؟ فقلنا: وما أخرجك؟ فقال: وما أخرجكم؟ قلنا الدخول في الإسلام واتباع محمد ﷺ. قال: وذاك الذي أقدمني. فاصطحبنا جميعاً حتى دخلنا المدينة فأنَخْنا بظهر الحرَّة ركابَنا. فَأُخْبِرَ بنا رسول الله ﷺ فَسُرَّ بنا. فلبستُ من صالح ثيابي ثم عمدتُ إلى رسول الله ﷺ، فلقيني أخي فقال: أسرعْ فإنَّ رسول الله ﷺ قد أُخبِرَ بكَ فَسُرَّ بقدومِكَ وهو ينتظركم. فأسرعنا المشي فاطَّلعتُ عليه فما زال يتبسَّمُ إليَّ حتى وقفتُ عليه، فسلَّمت عليه بالنبوَّة فَرَدَّ عليَّ السلام بوجه طَلْقٍ. فقلت: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. فقال: «تعال» ثم قال ﷺ: «الحمد لله الذي هَدَاكَ، قد كنتُ أرى لك عقلاً رجوتُ أن لا يُسْلِمَكَ، إلا إلى خير». قلت: يا رسول الله، إني قد رأيتُ ما كنت أشهد من تلك المواطن عليك معانداً للحق، فادْعُ الله أنْ يَغْفِرَها لي. فقال رسول الله ﷺ: «الإسْلامُ يَجُبُّ ما كانَ قَبْلَهُ». قلت: يا رسول الله على ذلك. قال: «اللَّهُمَّ اغفِرْ لخالدِ بْنِ الوَلِيدِ كُلَّ ما أَوْضَعَ فيهِ مِنْ صَدٍّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ». قال خالد: وتقدم عثمان وعمرو فبايعا رسول الله ﷺ. قال: وكان قدومُنا في صفر سنة ثمان؛ قال: واللَّهِ ما كان رسولُ الله ﷺ يَعْدِلُ بي أحداً من أصحابه فيما حَزَبَهُ. كذا في البداية (٤/ ٢٣٨). وأخرجه أيضاً ابن عساكر نحوه ـ مطولاً، كما في كنز العمال (٧/ ٣٠).

قصة فتح مكة زادها الله تشريفاً

خروجه عليه السلام لفتح مكة ونزوله بمرّ الظهران

وأخرج الطبراني عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: ثم مَضى رسولُ الله ﷺ

---

(١) الذنوب: الدَّلْو.

(٢) انعذ القوم: وعد بعضهم بعضاً.

(٣) يأجج: موضع على ثمانية أميال من مكة المكرمة.

واستَعْمَل على المدينة أبا رُهْم كلثومَ بنَ الحُصَيْنِ الغِفَارِيَّ، وَخرج لعشرٍ مَضَيْنَ من رمضانَ، فصام رسولُ الله ﷺ وصامَ النَّاسُ معه حتى إذا كان بالكديدِ - ماء بين عسفان وأمج - أَفْطَرَ، ثم مَضَى حتى نزلَ مَرَّ الظَّهْرانِ[1] في عشرةِ آلافٍ من المسلمين، وَأَلْفٍ من مُزَيْنَةَ وَسُلَيم، وفي كلِّ القبائلِ عَدَدٌ وَسِلاحٌ، وَأَوْعَبَ[2] مَعَ رسول الله ﷺ المهاجرونَ والأنصارُ لم يتخلَّفْ منهم أحدٌ.

تجسس رؤساء قريش الأخبار

فلمّا نزل رسولُ الله ﷺ مَرَّ الظَّهرانِ - وقد عُمِّيتِ[3] الأخبارُ على قُريش، فلم يَأْتِهِمْ عن رسول الله ﷺ خبرٌ ولم يَدْرُوا ما هُوَ فاعلٌ. - خرج في تلك الليلة: أبو سفيانَ بنُ حربٍ وحَكيمُ بن حزامٍ وبُدَيلُ بن وَرْقاء يتجسَّسُون، وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به؟ وقد كانَ العباسُ بن عبد المطلب رضي الله عنه تلقى رسول الله ﷺ في بعض الطريق، وقد كان أبو سفيانَ بنُ الحارث بن عبد المطّلب وعبد الله بنُ أبي أُمية بن المغيرة وقد لقيا رسولَ الله ﷺ فيما بَيْنَ المدينةِ ومكّةَ والتمسا الدخولَ عليه، فكلمته أم سَلَمة فيهما فقالت: يا رسول الله ابن عمِّك، وابن عَمَّتِكَ وَصِهْرُكَ. قال: «لا حاجة لي بهما. أما ابن عمي فَهَتَكَ عِرْضِي[4] بمكة، وأما ابنُ عمّتي وَصِهْري فهو الذي قال لي بمكة ما قال»[5]. فلما خرج[6] إليهما بذلك - ومع أبي سفيانَ بُنَيٌّ له - فقال: والله ليأذنَنَّ[7] لي أو لآخذنَّ بيدي بُنَيِّي هٰذا ثمّ لَنَذْهَبَنَّ بالأرض حتى نموتَ عطشاً وجوعاً. فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رقَّ لهما ثم أذِنَ لهما فدخلا فأسلما.

ترغيب العباس قريشاً أن يستأمنوه

فلما نزل رسول الله ﷺ بمرِّ الظَّهران قال العباس: وَاصباحَ قريش!! والله لَئِنْ دَخَلَ رسولُ الله ﷺ مكةَ عَنْوَةً قبل أن يستأمِنُوهُ إنه لَهَلاكُ قريشٍ آخِرَ الدهرِ. قال: فجلستُ على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء، فخرجت عليها حتى جئت الأراكَ، فقلتُ لعلِّي ألْقى بَعْضَ

---

(١) مر الظهران وادٍ بين مكّة وعسفان واسمه الآن: وادي فاطمة.
(٢) أوعبوا: أي خرجوا جميعهم.
(٣) عُمِّيت: أخفيت.
(٤) كان أبو سفيان بن الحارث يهجو رسول الله ﷺ.
(٥) هو قوله: لا آمنت بك حتى تنخذ سلّماً إلى السماء...
(٦) أي خرج إليهما الخبر.
(٧) في الأصل لنأذنن والتصويب من «جمع الفوائد».

الحَطَّابَة[١] أو صاحبَ لَبَنٍ أو ذا حاجةٍ يأتي مكة، فَيُخْبِرُهُمْ بمكانِ رسول الله ﷺ، فيستأمنوه قبل أن يَدْخُلَها عنوة.

خبر أبي سفيان مع العباس وعمر رضي الله عنهم

قال: فوالله إني لأسير عليها وألتمسُ ما خرجت له إذ سمعت كلامَ أبي سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان وأبو سفيان يقول: ما رأيت كاليوم نيراناً ولا عسكراً!! قال يقول بديل: هذه ـ والله ـ نيران خُزاعة حَمَشَتْها[٢] الحربُ. قال يقول أبو سفيان: خزاعة ـ والله ـ أذلُّ وألأمُ من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها. قال: فعرفتُ صوته فقلت: يا أبا حَنْظَلَةَ، فعرفَ صوتي فقال: أبو الفضل؟ فقلت: نعم. فقال: ما لك ـ فداك أبي وأمي ـ فقلت: ويحكَ يا أبا سفيان، هذا رسولُ الله ﷺ في الناس، وَاصباح قريشٍ واللَّهِ!. قال: فما الحيلة ـ فداك أبي وأمي ـ قال قلت: لئن ظَفِرَ بكَ لَيَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ، فَاركب معي هذه البغلة حتى آتي بك رسولَ الله ﷺ فأَسْتأْمِنَهُ لَكَ. قال: فركبَ خَلْفِي ورجع صاحباه، وحركت به. فكلَّما مَرَرْتُ بنارٍ من نيران المسلمين قالوا: من هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ، قالوا: عَمُّ رسولِ الله ﷺ على بغلته، حتى مررتُ بنارِ عُمَرَ بنِ الخطاب فقال: من هذا؟ وقام إليَّ. فلما رأى أبا سفيان على عَجُزِ البغلة قال: أبو سفيان، عدوّ الله!! الحمدُ لله الذي أمكن الله منكَ بغير عَقْد ولا عَهْد[٣]. ثم خرج يشتدُّ نحو رسول الله ﷺ، وركضتُ البغلة فسبقته بما تسبقُ الدابة الرجلَ البطيءَ، فاقتحمتُ[٤] عن البغلة. فدخلت على رسول الله ﷺ، ودخل عمر فقال: يا رسول الله، هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه[٥] بغير عقد ولا عهد، فدَعْني فلأضربْ عنقه. فقلتُ: يا رسولَ الله، إني أجرته، ثم جلستُ إلى رسول الله ﷺ فقلت: لا والله، لا يناجيه الليلة رجلٌ دوني، قال: فلمَّا أكثر عمر في شأنه قلتُ: مهلاً يا عمر، أما ـ والله ـ إن لو كان من رجال بني عديّ بن كعب ما قلت هذا، ولكنَّك عرفتَ أنه من رجال بني عبد مناف. فقال: مهلاً يا عباس!! والله، لإسْلامُكَ يَوْمَ أَسْلَمْتَ أحبُّ إليَّ من إسلام أبي لو أسلم، وما بي إلاّ أني قد عرفت أن إسلامَكَ كانَ أَحَبَّ إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطّاب. فقال رسول الله ﷺ: «اذْهَبْ به إلى رَحْلِكَ يا عباسُ، فإذا أصْبَحْتَ فَائْتني بِهِ»، فذهبتُ به إلى رحلي فبات عندي، فلما أصبح غدوتُ به على رسول الله ﷺ.

---

(١) الحطابة: الذين يحتطبون.

(٢) حمشتها: أحرقتها وأهلكتها.

(٣) أي أمان من الرسول ﷺ.

(٤) اقتحمت: نزلت ووثبتُ عنها بسرعة.

(٥) هذه الزيادة من «سيرة ابن هشام» وليست في الأصل.

شهادة أبي سفيان بكمال خلقه عليه السلام ودخوله في الإسلام

فلمّا رآه رسول الله ﷺ قال: «وَيْحَكَ يا أبا سُفْيانَ، أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰه؟» قال: بأبي أنت وأمّي، ما أكْرَمَكَ وأحْلَمَكَ وأوْصَلَكَ!! لقد ظننتُ أن لو كان مع الله غيره[1] لقد أغنى عني شيئاً. قال: «وَيْحَكَ يا أبا سُفْيانَ، أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنِّي رَسُولُ اللّٰهِ؟» قال: بأبي أنت وأمّي، ما أحْلَمَكَ وَأكْرَمَكَ وَأوْصَلَكَ!! هذه ـ والله ـ كان في النفس منها شيء حتى الآن. قال العباس: ويحك يا أبا سفيان، أسلِم واشْهَدْ أن لا إلٰهَ إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن يُضْرَبَ عُنُقُكَ. قال: فشهد شهادة الحقّ وأسلم.

الذين جعلهم رسول الله ﷺ آمنين يوم الفتح

قلت: يا رسول الله، إنّ أبا سفيان يحبُّ هذا الفخر فاجعلْ له شيئاً، قال: «نَعَمْ. مَنْ دَخَلَ دارَ أبي سُفْيانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أغْلَقَ بابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ المَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ». فلما ذهب لينصرفَ قال رسول الله ﷺ: «يا عَبّاسُ، احْبِسْهُ بالوادي عِنْدَ خَطْمِ الجَبَلِ[2] حَتّٰى تَمُرَّ بِهِ جُنُودِ اللّٰهِ فَيَرَاهَا». قال: فخرجتُ به حتى حَبَسْتُهُ بمضيق الوادي حيث أمرني رسولُ الله ﷺ أن أحبسَهُ، قال: وَمَرّتْ بِهِ القبائل على راياتها، فكلّما مرّت قبيلة قال: من هؤلاء يا عباس؟ فأقول[3]: بنو سُلَيم[4]. فيقول: ما لي ولسُلَيم؟ قال: ثم تمر القبيلة فيقول: من هؤلاء؟ فأقول: مُزَيْنة. فيقول: ما لي ولمزينة؟ حتى نَفِدَتْ القبائلُ ـ يعني جاوزت ـ لا تمرُّ قبيلة إلا قال: من هؤلاء؟ فأقول: بنو فلان، فيقول: ما لي ولبني فلان؟ حتى مرَّ رسول الله ﷺ في الخضراء[5] فيها المهاجرون والأنصار لا يُرى منهم سوَى الحَدَق[6] قال: سبحان الله! من هؤلاء يا عباس؟ قلت: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار. قال: ما لأحدٍ بهؤلاء قِبَلٌ ولا طاقةٌ ـ والله ـ يا أبا الفضل لقد أصبح مُلْك ابنِ أخيك الغداة عظيماً!!. قلت: يا أبا سفيان، إنّها النبوّة. قال: فنعم إذاً. قلت: التجىء إلى قومِكَ. قال: فخرج حتى جاءهم صرخ بأعلى صوته: يا قريش، هذا محمد قد جاءكم بما لا قِبَلَ[7] لكم به،

---

(١) في الأصل «غير» والتصويب من «جمع الفوائد».
(٢) خطم الجبل: أنف الجبل.
(٣) في الأصل «فيقول» والتصويب من «السيرة» لابن هشام.
(٤) في الأصل «بني سليم» والتصويب من السيرة أيضاً.
(٥) قيل الخضراء للبسهم الحديد والعرب تطلق الخضراء على السواد.
(٦) الحدق: جمع حدقة: العين.
(٧) أي لا طاقة.

فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن. فقامت إليه امرأته هندُ بنت عُتبة فأخذت بشاربه فقالت: اقتلوا الدَّسِمَ الأخمَشَ[١] فبئسَ طليعةُ[٢] قوم. قال: ويحكم، لا تَغُرَّنَّكُم هذه من أنفسكم فإنه قد جاء بما لا قِبَلَ لكم به من دَخَلَ دارَ أبي سفيان فهو آمِنٌ. قالوا: ويحكَ، وما تغني عنا دارك؟! قال: ومن أغلق بَابَهُ فهو آمِنٌ. ومن دخل المسجد فهو آمِنٌ. فتفرَّق الناس إلى دورهم وإلى المسجد. قال الهيثميّ (٦/ ١٦٧): رواه الطبرانيّ ورجاله رجال الصحيح. انتهى.

صفة دخوله عليه السلام مكة

وأخرجه أيضاً البيهقيّ بطوله كما في البداية (٤/ ٢٩١)، وأخرجه ابن عساكر أيضاً من طريق الواقديّ عن ابن عباس رضي الله عنهما كما في كنز العمال (٥/ ٢٩٥) ـ فذكر نحو ما تقدَّم من رواية الطبرانيّ، وفي سياقه: ثم قال رسولُ الله ﷺ للعباس بعدما خرج: «احبِسْهُ بِمَضِيقِ الوادِي إلى خطْمِ الجَبَلِ حَتَّى تَمُرَّ بِهِ جُنُودُ اللَّهِ فَيَرَاها». قال العباس: فعدلتُ به[٣] في مضيق الوادي إلى خَطْم الجبل، فلمّا حبست أبا سفيان قال: غَدْراً يا بني هاشِم؟! فقال العباس: إنَّ أهل النبوّة لا يغدِرُونَ، ولكنْ لي إليك حاجة. فقال أبو سفيان: فهلاّ بدأتَ بها أولاً؟ فقلت: إنْ لي إليك حاجةً فكانَ أفْرَغَ لروعي[٤]. قال العباس: لم أكن أراكَ تذهب هذا المذهب، وعبّأ[٥] رسول الله ﷺ أصحابه ومرت القبائل على قادتها والكتائب على راياتها. فكان أوّل من قدَّم رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في بني سُلَيم وهم ألفٌ، فيهم لواء يحمله عباس بن مرداس، ولواء يحمله خُفاف بن نُدبة، وراية يحملُها الحجّاج بن عِلاَط[٦]. قال أبو سفيان: من هؤلاء؟ قال العباس: خالدُ بن الوليد، قال: الغلام، قال: نعم، فلما حاذى خالد بالعباس وإلى جنبه أبو سفيان كَبَّروا ثلاثاً ثم مَضَوْا، ثم مرَّ على إثره الزبير بن العوّام في خمس مائة منهم مهاجرون وأفناء[٧] الناس ومعه رايةٌ سوداء. فلما حاذى أبا سفيان كبّر ثلاثاً وكبّر أصحابه، فقال: من هذا؟ قال: الزبيرُ بن العوام. قال: ابن أختك. قال:

---

(١) الدسم الأخمش: الأسود الدنيء.
(٢) الطليعة: من يبعث في مقدّمة الجيش للاستطلاع.
(٣) فعدلت به: فخرجتُ به.
(٤) الروع: القلب والعقل.
(٥) عبّأهم: جهزهم ورتبهم في مواضعهم.
(٦) في الأصل «غلاط» والتصويب من «الإصابة».
(٧) أفناء الناس: أي أخلاط الناس ممن اجتمع من القبائل.

نعم. ومرّت نفر من غِفار في ثلاث مائة يحمل رايتهم أبو ذرٍ الغِفاري ويقال إيماء[١] بن رَحَضَة: فلما حاذَوْهُ كبّروا ثلاثاً. قال: يا أبا الفضل، من هؤلاء؟ قال: بنو غِفار. قال: وما لي ولبني غِفار. ثم مضت أسْلَم في أربع مائة فيها لواءان: يحمل أحَدَهُما بُرَيدةُ بن الحُصَيب، والآخر ناجية بن الأعجم: فلما حاذَوْهُ كبّروا ثلاثاً. فقال: من هؤلاء؟ قال: أسلَم، قال: يا أبا الفضل: ما لي ولأسْلَم، ما كان بيننا وبينها تِرَةَ قَط. قال العباس: هم قوم مسلمون دخلوا في الإسلام. ثم مرّت بنو كعب بن عمرو في خمس مائة يحمل رايتهم بشر بن شيبان. قال: من هؤلاء؟ قال: هم كعب بن عمرو. قال: نعم، هؤلاء حُلفاء محمد؛ فلما حاذَوْه كبّروا ثلاثاً. ثم مرّت مُزَيْنَةُ في ألف فيها ثلاثة ألوية وفيها مائة فرس، يحمل ألويتها: النُّعمان بنُ مُقَرِّن، وبلال بن الحارث وعبد الله بن عمرو؛ فلما حاذَوه كبروا. فقال: من هؤلاء؟ قال: مُزَينة. قال: يا أبا الفضل، ما لي ولمُزينة قد جاءتني تُقَعْقِعُ[٢] من شواهِقِها[٣]. ثم مرّت جُهَيْنَةُ في ثمان مائة مع قادتها فيها أربعة ألوية: لواء مع أبي زُرعة معْبد بن خالد، ولواء مع سُوَيْدِ بن صخر، ولواء مع رافع بن مكيث، ولواء مع عبد الله بن بدر؛ فلما حاذَوْه، كبّروا ثلاثاً. ثم مرّت كِنَانة: بنو ليث، وضمرة، وسعد بن بكر، في مائتين يحمل لواءهم أبو واقد الليثي؛ فلما حاذَوْه كبّروا ثلاثاً. فقال: من هؤلاء؟ قال: بنو بكر. قال: نعم، أهل شوْم[٤] والله، هؤلاء الذين غزانا محمد بسببهم، أما ـ والله ـ ما شُوورْتُ فيه ولا عَلِمْتُهُ، ولقد كنتُ له كارهاً حيث بلغني، ولكنه أمْرٌ حُمَّ[٥]. قال العباس: قد خارَ الله لك في غزوة محمد ﷺ لكم ودخلتم في الإسلام كافة.

قال الواقدي: حدثني عبد الله بن عامر عن أبي عمرو بن حماس قال: مرّت بنو ليث وحدها وهم مائتان وخمسون يحمل لواءها الضَّحْل بن جثامة؛ فلما مرَّ كبّروا ثلاثاً. فقال: من هؤلاء؟ قال: بنو ليث. ثم مرت أشجَع وهم آخر من مر وهم في ثلاث مائة معهم لواء يحمله مَعْقِل بن سنان، ولواء مع نُعَيم بن مسعود. فقال أبو سفيان: هؤلاء كانوا أشدَّ العرب على محمد ﷺ. فقال العبّاس: أدخل اللّهُ الإسلامَ قلوبَهُمْ، فهذا من فضل الله. فسكتَ؛ ثم قال: ما مضى بَعْدُ محمدٌ؟ قال العباس: لم يَمْضِ بَعْدُ. لو رأيتَ الكتيبة التي فيها محمد

(١) في الأصل «إيمان» والتصويب من «الإصابة».
(٢) القعقعة: حكاية صوت السلاح «مختار الصحاح» مادة (ق ع ع).
(٣) الشاهق: هو الجبل المرتفع «مختار الصحاح» مادة (ش هـ ق).
(٤) أهل شوم: أي أهل شر ونحس.
(٥) حمّ: قضي.

ﷺ رأيت الحديد والخيل والرّجال وما ليس لأحدٍ به طاقة!! قال: أظنُّ ـ والله ـ يا أبا الفضل!! ومن له بهؤلاء طاقة؟! فلما طلعت كتيبة رسول الله ﷺ الخضراءِ طلع سواد وغبرة من سنابك الخيل[١]، وجعل النّاسُ يمرُّون كل ذلك يقول: ما مَرَّ محمدٌ؟ فيقول: العباس: لا، حتى مرَّ يَسِيرُ على ناقته القصواء بين أبي بكر وَأُسيد بن حُضَيرٍ وهو يحدّثهما. فقال العباس: هذا رسولُ الله في كتيبته الخضراء، فيها المهاجرون والأنصار، فيها الرايات والألوية، مع كل بطل من الأنصار راية ولواء في الحديد لا يرى فيه إلا الحَدَق، ولعمر بن الخطاب فيها زَجَلٌ[٢]، وعليه الحديدُ بصوتٍ عالٍ وهو يَزَعُها[٣]، فقال أبو سفيان: يا أبا الفضل، من هذا المتكلم؟ قال: عمر بن الخطاب، قال: لقد أَمِرَ أَمْرُ بني عَدِيٍّ بعد ـ والله ـ قِلَّةٍ وَذِلَّةٍ، فقال العباس: يا أبا سفيان، إن الله يَرْفَعُ ما يشاء بما يشاء، وإن عمر ممن رفعه الإسلام. وقال: في الكتيبة ألفا درع. وأعطى رسول الله ﷺ رايته سَعْدَ بن عبادة فهو أمام الكتيبة. فلمّا مرَّ سعد براية النبيِّ ﷺ نادى يا أبا سفيان، اليَوم يَوْم المَلْحَمَةِ[٤]، اليَوم تُسْتَحَلُّ الحرمةُ، اليَوم أَذَلَّ اللّهُ قُرَيْشاً، فأقبل رسول الله ﷺ حتى إذا حاذى أبا[٥] سفيان ناداه: يا رسولَ الله، أَمَرْتَ بقتل قومِك؟ زعم سعدٌ ومن معه حين مرّ بنا، فقال: يا أبا سفيان، اليوم يوم الملحمة، اليوم تُسْتَحَلُّ الحرمة، اليوم أذلَّ اللّهُ قريشاً، وإني أنشدك الله في قومك فأنت، أبرُّ الناس وأوصَلُ الناس. قال عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان: يا رسولَ الله ما نأمن سعداً أن يكون منه في قريشٍ صَوْلَةٌ[٦]، فقال رسولُ الله ﷺ: «يا أبا سُفيانَ، اليَوم يَوْمُ المَرْحَمَةِ، اليوم أَعَزَّ اللّهُ فِيهِ قُرَيْشاً». قال: وأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد فَعَزَلَهُ وجعلَ اللواء إلى قَيسٍ، ورأى رسولُ الله ﷺ أنَّ اللواء لم يخرج من سَعْدٍ حين صار لابنه، فأبى سَعْدٌ أن يُسَلِّمَ اللواءَ إلا بالأمارة من النبيِّ ﷺ. فأرسل رسول الله ﷺ إليه بعمامته فَعَرَفَها سعدٌ، فدفع اللواء إلى ابنه قيسٍ.

وأخرجه الطبرانيُّ عن أبي ليلى رضي الله عنه قال: كُنّا مع النبيِّ ﷺ، فقال: إنَّ أبا سفيان في الأَرَاكِ فدخلنا فأخذناه، فجعل المسلمون يَحُوُونه يحفون سيوفهم حتى جاؤوا به

---

(١) سنابك جمع سُنْبُك، وهو طرف الحافر.

(٢) زجل: صوت رفيع عالٍ.

(٣) أي يرتبهم ويسويهم ويصفهم للحرب.

(٤) الملحمة: المقتلة العظمى.

(٥) في الأصل «بأبي» والتصويب من «المنتخب».

(٦) الصولة: السطوة في الحرب.

إلى رسول الله ﷺ، فقال له: «وَيْحَكَ يا أبا سُفْيانَ! قَدْ جِئْتُكُمْ بِالدُّنيا وَالآخِرَةِ، فَأَسْلِمُوا تَسْلَمُوا»، وكان العبّاسُ له صديقاً. فقال له العباس رضي الله عنه: يا رسولَ الله، إنَّ أبا سفيان يحبُّ الصَّوْتَ[1]. فبعث رسول الله ﷺ منادياً ينادي بمكة: «مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ. وَمَنْ أَلْقَى سِلاحَهُ فَهُوَ آمِنٌ. وَمَنْ دَخَلَ دارَ أبي سُفْيانَ فَهُوَ آمِنٌ». ثم بعث معه العباس حتى جلسا على عقبة الثنية، فأقبلت بنو سُلَيم[2] فقال: يا عباس، من هؤلاء؟ قال: هذه بنو سُلَيم، فقال: وما أنا وَسُلَيم، ثم أقبلَ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في المهاجرين، فقال: يا عباس، من هؤلاء؟ قال: عليّ بن أبي طالب في المهاجرين. ثم أقبل رسول الله ﷺ في الأنصار فقال: يا عبّاسُ، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الموت الأحمر[3]! هذا رسولُ الله ﷺ في الأنصار. فقال أبو سفيان: لقد رأيت ملك كسرى وقيصر فما رأيت مثل ملك ابن أخيك!! فقال العباس: إنما هي النبوّة. قال الهيثمي (٦/ ١٧٠): رواه الطبرانيّ، وفيه: حرب بن الحسن الطحان وهو ضعيف وقد وُثّق. انتهى.

وأخرج الطبرانيّ عن عُروة رضي الله عنه مرسلاً قال: ثم خرج رسولُ الله ﷺ في اثني عشر ألفاً: من المهاجرين، والأنصار، وَأَسْلَمَ، وَغِفار، وَجُهَيْنَة، وبني سُلَيم، وقادوا الخيول حتى نزلُوا بمرّ الظّهران ولم تعلم بهم قريشٌ، وَبَعَثُوا بحكيم بن حزام وأبي سفيان إلى رسول الله ﷺ وقالوا: خُذْ لَنا منه جِواراً أو آذِنُوهُ بالحَرْبِ. فخرج أبو سفيان بن حَرْبٍ وحكيمُ بن حزام، فلقيا بُدَيل بن ورقاء فاسْتَصْحَبَاه، حتى إذا كانا بالأراك من مكة ـ وذلك عشاءً ـ رأوْا الفساطيط[4] والعسكرَ، وسمعوا صَهِيلَ الخيلِ، فَرَاعَهُمْ وَفَزِعُوا منه وقالوا: هؤلاء بنو كَعْبٍ حاشَتْها الحرب. فقال بُديل: هؤلاء أكبر من بني كعب!! ما بلغ تأليبُها[5] هذا، أفتنتجع هوازنُ أرْضَنا؟ واللّهِ ما نعرف هذا أيضاً، إنَّ هذا لمثل حاجُ الناس. وكان رسولُ الله ﷺ قد بعث بين يديه خيلاً تقبض العيون[6]، وخزاعة على الطريق لا يتركون أحداً يمضي. فلما دخل أبو سفيان وأصحابه عسكر المسلمين أخذتهم الخيلُ تحت الليل وأتَوْا بهم خائفين القتل. فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي سفيان فَوَجَأَ[7] في

(١) الصوت: الصيت وهو الذكر الجميل بين الناس.
(٢) في الأصل «بنو سلمة» والظاهر «بنو سليم» كما في السياق.
(٣) الموت الأحمر: القتل الشديد.
(٤) الفساطيط: جمع فسطاط وهو ضرب من الأبنية في السفر.
(٥) تأليبها: أي جمعها.
(٦) العيون: الجواسيس.
(٧) وجأ: طعن.

عُنُقِهِ، والْتَزَمَهُ القومُ وخرجوا به لِيُدْخِلُوه على رسول الله ﷺ فخافَ القتل ـ وكان العباسُ بن عبد المطَّلب رضي الله عنه خالصة له[1] في الجاهلية ـ فصاح بأعلى صوته: ألا تأمروا لي إلى عباس؟ فأتاه عباسٌ فدفع عنه، وسأل رسولَ الله ﷺ أن يقبضه إليه ومشى في القوم مكانه. فركب به عباسٌ تحت الليل فسار به في عسكر القوم حتى أبصروه أجمع، وقد كان عمر قد قال لأبي سفيان حين وَجَأَ عُنُقَهُ: والله لا تدنو من رسول الله ﷺ حتى تموتَ. فاستغاثَ بعباس، فقال: إني مقتولٌ، فمنعه من الناس أن يَنتَهِبُوهُ[2]. فلما رأى كثرة الناس وطاعتهم قال: لم أرَ كالليلة جمعاً لقوم. فخلّصه العباس من أيديهم وقال: إنك مقتولٌ إن لم تُسْلِمْ وَتَشْهَدْ أنَّ محمداً رسول الله. فجعل يريد يقولُ الذي يأمره العباس فلا يتطلقُ لسانُهُ فباتَ مع عباس. وأما حكيم بن حزام وبُدَيل بن ورقاء فدخلا على رسول الله ﷺ فأسلما وجعل يَسْتَخْبِرُهما عن أهلِ مكة. فلما نودي بالصَّلاة صلاةِ الصبح تحيَّن القوم[3]، ففزع أبو سفيان فقال: يا عباسُ، ماذا تريدون؟ قال: هم المسلمون يَتَبَسَّرُونَ بحضورِ رسول الله ﷺ فخرجَ به عباس. فلما أبصرهم أبو سفيان قال: يا عبّاسُ، أما يأمرهم بشيءٍ إلا فَعَلُوهُ؟ فقال عباس: لو نَهاهُمْ عَن الطعام والشراب لأطاعُوه. قال عباس: فكلِّمه في قومك هل عنده من عقو عنهم. فأتى العباس بأبي سفيان حتى أدخله على النبيّ ﷺ، فقال عباسٌ: يا رسولَ الله، هذا أبو سفيان، فقال أبو سفيان: يا محمد، إني قد استنصرتُ إلهي واستنصرتَ إلهكَ، فوالله ما رأيتك إلا قد ظهرت عليَّ!! فلو كان إلهي محقاً وإلهك مبطلاً لظهرتُ عليكَ!! فأشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله. فقال عباس: يا رسول الله، إني أحِبُّ أن تأذن لي آتي قومك فأنذرهم ما نزل وأدعوهم إلى الله ورسوله. فأذن له، فقال عباس: كيف أقولُ لهم يا رسول الله؟ بَيِّنْ لي من ذلك أماناً يطمئنون إليه. قال رسول الله ﷺ: «تَقُولُ لَهُمْ: مَنْ شَهِدَ أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأنَّ مُحمداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَهُوَ آمِنٌ. وَمَنْ جَلَسَ عِنْدَ الكَعْبَةِ فَوَضَعَ سِلاحَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ». فقال عباس: يا رسولَ الله، أبو سفيان ابن عمنا وأحبُّ أن يرجع معي، فلو اختصصتَهُ بمعروفٍ. فقال النبيُّ ﷺ: «مَن دَخَلَ دارَ أبي سُفْيانَ فَهُوَ آمِنٌ». فجعل أبو سفيان يستفقه ودار أبي سفيان بأعلى مكة، «وَمَنْ دَخَلَ دارَ حَكِيمِ بن حزام وكفَّ يَدَهُ فَهُوَ آمِنٌ»، ودار حكيم بأسفل مكة. وحمل النبيّ ﷺ عبّاساً على بغلته البيضاء التي كان أهداها إليه دِحْيَة الكلبي رضي الله عنه. فانطلق عباس

(١) خالصة له: صديقاً خاصاً لأبي سفيان.
(٢) ينتهبوه: يتناولوه بألسنتهم ويغلظوا له.
(٣) تحيّن: تحرّكوا لحينها.

بأبي سفيان قد أردفه، فلما سار عبّاسٌ بعث النبي ﷺ في إثره، فقال: أدركوا عباساً فردّوه عليّ، وحدّثهم بالذي خاف عليه، فأدركه الرسولُ، فكره عبّاسُ الرجوعَ وقال: أيَرْهَبُ رسولُ الله ﷺ أن يرجعَ أبو سفيان راغباً في قلة الناس فيكفر بعد إسلامه؟ فقال: احبسه فحبسه. فقال أبو سفيان: أغدراً يا بني هاشم؟ فقال عبّاس: إنا لسنا نغدر ولكن لي إليك بعض الحاجة. قال: وما هي؟ أقضيها لك. قال: تُفادها حين يقدمُ عليكَ خالد بن الوليد والزبير بن العوّام، فوقف عبّاسٌ بالمضيق دون الأراك من مرّ، وقد وعى أبو سفيان منه حديثه. ثم بعث رسول الله ﷺ الخيل بعضها على إثر بعض، وَقَسَّمَ رسولُ الله ﷺ الخيل شطرين، فبعث الزبير، وردفه خيل بالجيش من أسلم وغفار وقضاعة. فقال أبو سفيان: رسول الله ﷺ هذا يا عباس؟ قال: لا ولكن خالد بن الوليد. وبعث رسول الله ﷺ سعد بن عبادة رضي الله عنه بين يديه في كتيبة الأنصار. فقال: اليوم يومُ الملحمة، اليوم تُسْتَحَلُّ الحرمة. ثم دخل رسول الله ﷺ في كتيبة الإيمان: المهاجرين والأنصار. فلما رأى أبو سفيان وجوهاً كثيرة لا يعرفها فقال: يا رسول الله، أكثرتَ أو اخترتَ هذه الوجوه على قومك؟ فقال رسول الله ﷺ: «أنْتَ فَعَلْتَ ذلكَ وَقَوْمُكَ، إنَّ هؤلاءِ صَدَقُوني إذ كَذَّبْتُمُوني، وَنَصَرُوني إذ أَخْرَجْتُمُوني» - ومع النبيّ ﷺ يومئذٍ الأقرعُ بن حابس، وعبّاس بن مرداس، وعُيينة بن حصن بن بدر الفَزاريّ -. فلما أبصرهم حول النبيّ ﷺ قال: من هؤلاء يا عبّاس؟ قال: هذه كتيبة النبيّ ﷺ ومع هذه الموت الأحمر!! هؤلاء المهاجرون والأنصار. قال: امضِ يا عبّاس، فلم أرَ كاليوم جنوداً قطّ ولا جماعة. فسار الزبير في الناس حتى وقف بالحَجُون[1]، واندفع خالدٌ حتى دخل من أسفل مكة فَلَقِيَهُ أوباشُ بني بكر فقاتلوهم، فهزمهم الله عزّ وجل، وقُتلوا بالحزورة[2] حتى دخلوا الدّور، وارتفع طائفة منهم على الخيل على الخندمة[3]، واتبعه المسلمون، فدخل النبي ﷺ في أخريات الناس، ونادى منادٍ: من أغلقَ عليه داره وكفّ يده فإنه آمن، ونادى أبو سفيان بمكة: أسلموا تسلموا وكفّهم الله عز وجل عن عبّاس. وأقبلت هند بنت عتبة فأخذت بلحية أبي سفيان ثم نادت: يا آلَ غالبٍ، اقتلوا هذا الشيخ الأحمق. قال: فأرسلي لحيتي، فأقسمُ بالله إنْ أنتِ لم تُسلمين لَتضرَبَنّ عُنُقُكِ. ويلكِ جاء بالحقّ فادخلي أريكتك[4] - أحسَبُهُ قال -: واسكتي. قال الهيثمي (٦/

(١) الحجون: الجبل المشرف مما يلي شعب الجزارين بمكة المكرمة.
(٢) الحزورة: موضع بمكة عند باب الحناطين.
(٣) الخندمة: جبل معروف عند مكة المكرمة.
(٤) الأريكة: هو السرير المزيّن.

١٧٣): رواه الطبراني مرسلاً وفيه: ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف. انتهى. وأخرجه أيضاً ابن عائذ في مغازي عروة بطوله كما في الفتح (٨/ ٤)، وأخرجه البخاريّ عن عروة مختصراً؛ والبيهقيّ (٩/ ١١٩) كذلك.

إسلام سهيل بن عمرو وشهادته بدماثة[١] أخلاقه ﷺ

وأخرج الواقديّ وابن عساكر وابن سعد عن سهيل بن عمرو رضي الله عنه قال: **لما دخلَ رسولُ الله ﷺ مكة وظهر اقتحمتُ[٢] بيتي وأغلقتُ عليَّ بابي وأرسلتُ ابني عبد الله بن سهيل أن اطلب لي جواراً من محمد ﷺ فإني لا آمَنُ أن أقتل، فذهب عبد الله بن سهيل فقال: يا رسولَ الله ﷺ، أبي تؤمنه؟ قال: «نعم، هُوَ آمِنٌ بأمانِ اللهِ فَلْيَظْهَرْ. ثم قال رسول الله ﷺ لمن حوله: «مَنْ لَقِيَ مِنكُمْ سُهَيلاً فَلا يَشُدَّ إليهِ النَّظَرَ فَلْيَخْرُجْ، فَلَعَمْري، إنَّ سُهَيلاً لَهُ عَقْلٌ وَشَرَفٌ وما مِثْلُ سُهَيلٍ جَهِلَ الإسلامَ، والقدر أني ما كان يوضع فيه إنه لم يكن له بنافع». فخرج عبد الله إلى أبيه فأخبره بمقالة رسول الله ﷺ، فقال سهيلٌ: كان ـ والله ـ براً صغيراً وكبيراً. فكان سهيل يُقبِلُ وَيُدْبِرُ، وخرج إلى حُنين مَعَ رسول الله ﷺ وهو على شِرْكِه حتى أسلم بالجعرانة[٣]، فأعطاه رسول الله ﷺ يومئذ من غنائم حُنين مائة من الإبل.** كذا في كنز العمال (٥/ ٢٩٤)، وأخرجه أيضاً الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٨١) مثله.

قوله عليه السلام لأهل مكة يوم الفتح

وأخرج ابن عساكر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: **لمّا كان يوم الفتح ورسول الله ﷺ بمكة أرسل إلى صفوان بن أمية وإلى أبي سفيان بن حرب وإلى الحارث بن هشام، ـ قال عمر: فقلت: قد أمكن الله منهم لأعرفَنَّهُمْ[٤] بما صنعوا ـ حتى قال رسول الله ﷺ: مَثَلي وَمَثَلُكُمْ كما قال يوسُفَ لإخوَتِهِ: ﴿لا تَثْرِيبَ[٥] عَلَيْكُمُ اليَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾. قال عمر: فافتضحتُ حَياءً من رسول الله ﷺ كراهية أن يكون بَدَرَ مني[٦]، وقد قال لهم رسول الله ﷺ ما قال.** كذا في الكنز (٥/ ٢٩٢).

---

(١) الدماثة: اللين في الخُلُق. وأصله من الدمث وهي الأرض السهلة الرخوة «النهاية» (٢/ ١٣٢).

(٢) اقتحمتُ: دخلتُ فيه بغتة.

(٣) الجعرانة: موضع قريب من مكة وهي في الحلّ، وميقات للإحرام؛ وهي بتسكين العين والتخفيف وقد تكسر العين وتشد الراء.

(٤) في الأصل لأعرفنهم والتصويب من «المنتخب» (٤/ ١٥٣).

(٥) لا تثريب: لا توبيخ ولا تقريع.

(٦) بدر مني: أي صدر مني كلام بلا تفكر وروية.

وعند ابن زنجويه في كتاب الأموال من طريق ابن أبي حسين: قال لمّا فتح رسولُ الله ﷺ مكة دخلَ البيت ثم خرج فوضع يده على عضادَتي الباب فقال: «ماذا تَقُولُونَ؟» فقال سهيل بن عمرو: نقولُ وَنَظُنُّ خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت. فقال: «أقُولُ كما قالَ أخِي يُوسُفُ: لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ». كذا في الإصابة (٢/ ٩٣).

وأخرجه البيهقيّ (٩/ ١١٨) من طريق القاسم بن سلام بن مسكين عن أبيه عن ثابت البناني عن عبد الله بن رباح عن أبي هريرة رضي الله عنه ـ فذكر الحديث، وفيه: قال: ثم أتى الكعبة فأخذ بعضادَتي الباب فقال: «ما تَقُولُونَ؟ وما تَظُنُّونَ؟» قالوا: نقول ابنُ أخٍ وابن عَمٍّ حليمٌ رحيمٌ. قال: وقالوا: ذلك ثلاثاً. فقال رسول الله ﷺ: «أقُول كما قالَ يُوسُفُ: لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ». قال: فخرجوا كأنما نُشِرُوا من القبور فدخلوا في الإسلام. قال البيهقي: وفيما حكى الشافعي عن أبي يوسف في هذه القصة: أنه قال لهم حين اجتمعوا في المسجد: «ما تَرَوْنَ أني صانعٌ بِكُمْ؟» قالوا: خيراً! أخ كريم وابن أخ كريم!! قال: «اذْهَبُوا فأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ»[1]. انتهى.

قصة إسلام عِكْرِمَةُ بن أبي جهل رضي الله عنه
أمان عكرمة حين استأمنت له زوجته أم حكيم

أخرج الواقديّ وابنُ عساكر عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: لمّا كان يوم الفتح أَسْلَمَتْ أم حكيم بنت الحارث بن هشام امرأة عِكْرِمة بن أبي جهل ثم قالت أمُّ حكيم: يا رسولَ الله! قد هَرَبَ عِكْرِمَةُ منك إلى اليمن وخاف أن تقتله فآمِنْهُ، فقال رسول الله ﷺ: «هُوَ آمِنٌ». فخرجتْ في طلبه ومعها غلام لها روميٌّ، فراودها عن نفسها[2] فجعلت تُمَنِّيهِ حتى قَدِمَتْ على حيٍّ من عَكٍّ فاستعانتهم عليه فأوثقوه رباطاً، وأدركت عِكْرِمَةَ وقد انتهى إلى ساحل من سواحِل تهامة؛ فركبَ البحرَ، فجعل نُوتِيُّ[3] السفينة يقولُ له: أخلِص. قال: أي شيءٍ أقولُ؟ قال: قُلْ لا إله إلا الله. قال عكرمة: ما هربتُ إلاّ مِنْ هذا؛ فجاءت أمّ حكيم على هذا من الأمر، فجعلت تليحُ إليه وتقول: يا ابن عمّ! جئتك من عند أوصل الناس؛ وأبرّ الناس وخير الناس؛ لا تُهلك نفسك، فوقف لها حتى أدركته، فقالت: إني قد

---

(١) الطلقاء: جمع طليق، وهو الأسير إذا أطلق سبيله، والطُّلقاء هم الذين خلّى عنهمْ يوم فتح مكة وأطلقهم فلم يسترقّهم.

(٢) راودها عن نفسها: خادعها ليفجر بها.

(٣) النوتيّ: هو ملاّح السفينة.

استأمنتُ لكَ رسولَ الله ﷺ، قال: أنتِ فَعَلْتِ؟ قالت: نعم. أنا كلمته فآمَنَكَ. فرجع معها وقالت: ما لَقِيتُ من غلامِكَ الرُّومِي وَخَبَّرَتْهُ خَبَرَهُ، فقتله عِكْرَمَةُ وَهُوَ يومئذٍ لم يُسْلِمْ[1].

إسلام عكرمة وشهادته بكمال برّه عليه السلام

فلما دنا[2] من مكة قال رسولُ الله ﷺ لأصحابه: «يأتيكُمْ عِكْرَمَةُ بنُ أبي جَهْلٍ مُؤمناً مُهاجراً فلا تَسُبُّوا أباهُ فإنَّ سَبَّ الميت يؤذي الحيَّ ولا يَبْلُغُ المَيِّتَ». قال: وجعل عكرمة يطلب امرأته بجامعها فتأبى عليه وتقول: إنك كافرٌ وأنا مسلمة. فيقول: إنَّ أمراً منعك مني لأمرٌ كبير. فلما رأى النبيُّ ﷺ عكرمةَ وثبَ إليه وما على النبيِّ ﷺ رداءٌ فرحاً بعِكْرمة. ثم جلس رسول الله ﷺ فوقف بين يديه ومعه زوجته متنقبة[3]، فقال: يا محمد، إنْ هذه أخبرتني أنك آمنتني، فقال رسولُ الله ﷺ: «صَدَقَتْ فَأَنْتَ آمِنٌ». قال عكرمة: فإلامَ تدعو يا محمد؟ قال: «أَدْعُوكَ إلى أنْ تَشْهَدَ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللّهُ وَأَنِّي رسولُ اللّهِ، وأنْ تُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِي الزكاةَ وَتَفْعَلَ وَتَفْعَلَ» حتى عَدَّ خِصالَ الإسلام، فقال عكرمة: والله، ما دعوتَ إلاَّ إلى الحقّ، وأمر حسن جميل، قد كنتَ. والله. فينا قبل أن تدعُوَ إلى ما دَعَوْتَ إليه وأنت أَصْدَقُنا حديثاً، وأبرُّنا برًّا. ثم قال عكرمة: فإني أشهد أنْ لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فَسُرَّ بذلك رسولُ الله ﷺ، ثم قال: يا رسول اللّهِ، عَلِّمني خَيْرَ شيءٍ أقولُه، فقال: «تَقولُ أشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله». فقال عكرمة: ثم ماذا؟ قال رسولُ الله ﷺ: «تَقُولُ أُشْهِدُ اللّهَ وَأُشْهِدُ مَنْ حَضَرَ أنّي مُسْلِمٌ مُجاهِدٌ مُهاجِرٌ». فقال عكرمة ذلك.

دعاؤه ﷺ لعكرمة

فقال رسول الله ﷺ: «لا تَسْأَلُنِي اليَوْمَ شَيْئاً أُعْطِيهِ أَحَداً إلاَّ أَعْطَيْتُكَهُ». قال عكرمة: فإني أسألك أن تستغفر لي كلَّ عداوة عاديتُكَها، أو مسيرٍ أَوْضَعْتُ فيه، أو مقام لقيتُكَ فيه، أو كلام قلتُهُ في وجهك أو أنتَ غائبٌ عنه، فقال رسول الله: «اللّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ كُلَّ عَدَاوَةٍ عادانيها، وَكُلَّ مَسِيرٍ سارَ فِيهِ إلى مَوْضِعٍ يُرِيدُ بذلك المسيرِ إطْفاءَ نُورِكَ، وَاغْفِرْ له ما نالَ[4] مِنِّي مِنْ عِرْضٍ في وَجْهِي أَوْ أنا غائِبٌ عَنْهُ». فقال عكرمةُ: رضيتُ يا رسولَ الله. ثم قال

---

(١) من «الحاكم» (٣/ ٢٤١).

(٢) من «الحاكم» (٣/ ٢٤١) وفي «الكنز»: فلما دنا رسول الله ﷺ من مكّة.

(٣) متنقبة: أي مغطية وجهها بالنقاب.

(٤) يقال: نال من عرض فلان: أي سبه.

عكرمة: أما ـ واللّهِ ـ يا رسول الله لا أدَعُ نَفَقَةً كنتُ أنفَقْتُها في صَدٍّ عن سبيل الله إلا أنفقتُ ضِعْفَها في سبيل الله، ولا قتالاً كنت أقاتِلُ في صَدٍّ عن سبيل الله إلا أبْلَيتُ ضِعْفَهُ في سبيل الله، ثم اجتهد في القتال حتى قُتِلَ شهيداً؛ فَرَدَّ رسول الله ﷺ امرأته بذلك النكاح الأول. قال الواقدي عن رجاله: وقال سُهَيلُ بن عمرو يوم حُنَيْنٍ: لا يجتبرها[1] محمد وأصحابه. قال يقول له عكرمة: إنْ هذا ليس بقول[2] إنما الأمر بيد الله وليس إلى محمد من الأمر شيء، إنْ أُدبِل عليه اليوم فإنّ له العاقبة غداً، قال يقولُ سهيل: والله إنْ عهدك بخلافه لحديث، قال: يا أبا يزيد، إنّا كنّا ـ والله ـ نُوضِعُ في غير شيءٍ وعقولنا عقولنا، نعبد حجراً لا يضرُّ ولا ينفع. كذا في كنز العمال (٧/ ٧٥).

وأخرجه أيضاً الحاكم (٣/ ٢٤١) من حديث عبد الله بن الزُّبير رضي الله عنهما ولكنه اقتصر فيه إلى قوله: فلما بلغ بابَ رسول الله ﷺ استبشر وَوَثَبَ لهُ رسولُ الله ﷺ قائماً على رجليه فرحاً بقدومه، ثم أخرج عن عُرْوَةَ بن الزبير رضي الله عنهما قال: قال عكرمة بن أبي جهل: لمّا انتهيتُ إلى رسول الله ﷺ قلت: يا محمد، إنَّ هذه أخبرتني أنّك آمنتني. فقال رسول الله ﷺ: «أنتَ آمِنٌ»، فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ عبدُ اللّهِ ورَسُولُهُ وأنتَ أبرُ الناس وأصدقُ الناس وأوفى الناس قال عكرمة: أقول ذلك وإني لمطأطىء رأسي استحياءً منه ثم قلت: يا رسول الله استغفرْ لي كلَّ عداوة عاديتُكها أو مركبٍ أوضعتُ فيه أريدُ فيه إظهارَ الشرك فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعِكْرِمَةَ كُلَّ عَدَاوَةٍ عاداني أو مَركبٍ أوْضَعَ فِيهِ يُرِيدُ أن يَصُدَّ عَنْ سَبِيلِكَ»، قلت: يا رسولَ الله مُرْني بخير ما تعلم فأعلمه. قال: «قُلْ أَشْهَدُ أن لا إلٰهَ إلا اللّٰهُ وأنَّ محمداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَتُجاهِدُ في سَبِيلِهِ»، ثم قال عكرمة: أما ـ واللّهِ ـ يا رسولَ الله لا أدَعُ نفقةً كنت أنفقتها في الصَّدِّ عن سبيل الله إلا أنفقتُ ضِعْفَها في سبيل الله، ولا قاتلتُ قتالاً في الصَّدِّ عن سبيل الله إلا أبْلَيتُ ضِعْفَهُ في سبيلِ الله.

اجتهاد عكرمة في القتال واستشهاده رضي الله عنه

ثم اجتهد في القتال حتى قُتِلَ يوم أجْنَادِينَ[3] شهيداً في خلافة أبي بكر رضي الله عنه. وقد كانَ رسول الله ﷺ استعمله عام حجته على هَوازن يُصدِّقها[4]، فتوفي رسولُ الله ﷺ

(١) في الأصل «يختبرهما» والصواب ما أثبتناه.
(٢) في الأصل «بقول» والتصويب من «منتخب الكنز» (٥/ ٢٤٤).
(٣) أجنادين: موضع معروف بالشام من نواحي فلسطين.
(٤) يصدقها: يجمع صدقاتها.

وَعِكرمة يومئذٍ بتبالة[١]. وقد أخرج الطبرانيّ أيضاً عن عروة رضي الله عنه قصة إسلامه مختصراً كما في المجمع (٦/ ١٧٤).

قصة إسلام صفوان بن أمية رضي الله عنه

أمان صفوان حين استأمن له عُمَير بن وَهْب

أخرج الواقدي وابنُ عساكر عن عبد الله بن الزّبير رضي الله عنهما، قال: لمّا كان يوم الفتح أسلمت امرأةُ صفوان بن أمية ـ البَغُومُ بنتُ المعدل من كِنانة ـ وأما صفوان بن أُمية فَهَرَبَ حتى أتى الشِّعْبَ وجعل يقول لغلامه يَسار ـ وليس معه غيره ـ: ويحكَ، انظر من تَرَى؟ قال: هذا عُمير بن وَهْبٍ، قال صفوان: ما أصنع بعمير؟! والله، ما جاء إلاّ يريد قتلي، قد ظاهر[٢] محمداً عليّ فلحقه، فقال: يا عُمير، ما كفاكَ ما صنعتَ بي؟! حمّلْتني دينك وعيالك، ثم جئت تريد قتلي. قال: أبا وَهْب، جُعِلْتُ فِداكَ! جئتكَ من عند أبرّ الناس وأوْصَلِ الناس. وقد كان عمير قال لرسول الله ﷺ: يا رسولَ الله، سيّدُ قومي خرج هارباً ليقذف نفسه في البحر وخاف أن لا تؤمّنه، فآمِنْهُ فِداكَ أبي وأمّي، فقال رسولُ الله ﷺ: «قَدْ آمَنْتُهُ». فخرج في أثره، فقال: إنّ رسول الله ﷺ قد آمنك.

إرساله ﷺ عمامته إلى صفوان علامة أمنه

فقال صفوان: لا، والله لا أرجع معكَ حتى تأتيني بعلامة أعرفها، فقال رسول الله ﷺ: «خُذْ عِمامَتِي». فرجع عمير إليه بها وهو البرد الذي دخل فيه رسول الله ﷺ يومئذٍ معتجراً به[٣] بُرْد حِبَرَة. فخرج عمير في طلبه الثانية حتى جاء بالبرد فقال: أبا وهب، جئتك من عند خير الناس وأوْصَلِ الناس وأبرّ الناس وأحْلَم الناس. مجده مجدُكَ وعزّه عزُّك وملكه ملكُك، ابنُ أمّك وأبيك، وأذكّرُك اللّه في نفسك، قال له: أخاف أن أُقتَلَ. قال: قد دعاك إلى أن تدخلَ في الإسلام فإن يسرّك وإلا سيّرَكَ[٤] شهرين فهو أوفى الناس وأبرهم[٥] وقد بعث إليك ببُرده الذي دخل به معتجراً فعرفه. قال: نعم، فأخرجه فقال: نعم، هو، هو. فرجع صفوان حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ ورسولُ الله ﷺ يصلّي بالناس العصر في

---

(١) تبالة: بلد باليمن معروف.

(٢) ظاهر: اتفق مع محمد عليّ.

(٣) الاعتجار بالعمامة: هو أن يلفها على رأسه، ويرد طرفها على وجهه، ولا يعمل منها شيئاً تحت ذقنه.

(٤) سيّرك: أي أعطك الأمان لشهرين.

(٥) في الأصل «أمره» والتصويب من «البداية».

المسجد فوقفا، فقال صفوان: كم يصلّون في اليوم والليلة؟ قال: خمس صلوات، قال: يصلّي بهم محمد؟ قال: نعم. فلمّا: سلّم صاح صفوان: يا محمد، إنَّ عُمَير بن وهب جاءني بِبُرْدِكَ وزعم أنك دعوتني إلى القدوم عليك، فإن رضيتُ أمراً وإلا سيّرتني شهرين؟ قال: «انْزِلْ أبا وَهْبٍ». قال: لا والله، حتى تُبَيِّن لي، قال: بل لكَ أن تسيّر[1] أربعة أشهر»، فنزل صفوان.

خروج صفوان معه عليه السلام إلى هوازن وإسلامه

وخرج رسولُ الله ﷺ قِبَلَ هوازن وخرج معه صفوان وهو كافر، وأرسل إليه يستعيره سلاحَهُ، فأعاره سلاحَهُ مائة درع بأداتها[2]، فقال صفوان: طوعاً أو كرهاً، فقال رسول الله ﷺ: «عارية رادّة»[3]، فأعاره، فأمره رسول الله ﷺ فحملها إلى حُنين فشهد حُنيناً والطائف، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى الجعِرّانة، فبينا رسول الله ﷺ يسير في الغنائم ينظر إليها ـ ومعه صفوان بن أمية ـ فجعل صفوان بن أمية ينظر إلى شِعْبٍ ملاء نَعَماً وشاءً ورِعاء فأدام النظر إليه ورسول الله ﷺ يَزمُقُهُ فقال: «أبا وَهْبٍ، يُعجِبُكَ هذا الشِّعْب[4]؟» قال: نَعَمْ؛ قال: «هُوَ لَكَ وما فيه». فقال صفوان عند ذلك: ما طابت نفس أحد بمثل هذا إلا نفس نبيّ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله وأسلم مكانه. كذا في الكنز (٥/ ٢٩٤). وأخرجه ابن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عُروة عن عائشة رضي الله عنها مختصراً. كما في البداية (٤/ ٣٠٨).

وأخرج الإمام أحمد (٦/ ٤٦٥) عن أمية بن صفوان بن أمية عن أبيه أن رسول الله ﷺ استعار منه يوم حنين أدراعاً فقال: أَغَصْباً يا محمد؟ قال: «بَلْ عارية مَضْمُونَة»[5]. قال: فضاع بعضها، فعرض عليه رسول الله ﷺ أن يضمنها له. قال: أنا اليوم ـ يا رسول الله ـ في الإسلام أرْغَبُ. انتهى.

قصة إسلام حويطب بن عبد العُزَّى رضي الله عنه
دعوة أبي ذر لحويطب ودخوله في الإسلام

أخرج الحاكم (٣/ ٤٩٣) عن المنذر بن جَهْم قال: قال حويطب بن عبد العُزَّى: لمّا

---

(١) في الأصل «الك تسيّر» والتصويب من «المنتخب» وغيره.

(٢) من ابن سعد (٢/ ١٠٨)، وفي «الكنز»: بأدائها.

(٣) رادّة: مردودة على اسم المفعول.

(٤) في الأصل «هذه الشعب» والتصويب من «الكنز».

(٥) العارية إذا تلفت وجب ضمانها عند الشافعيّ خلافاً لأبي حنيفة.

دخل رسول الله ﷺ مكة عام الفتح خفتُ خوفاً شديداً، فخرجت من بيتي وفرّقت عيالي في مواضعَ يأمنون فيها؛ فانتهيتُ إلى حائطِ عَوْفٍ فكنت فيه فإذا أنا بأبي ذرّ الغِفاريّ وكانت بيني وبينه خلّةٌ[1] ـ والخلة أبداً مانعة ـ، فلما رأيته هربتُ منه. فقال: أبا محمد، فقلت: لَبّيكَ، قال: ما لكَ؟ قلت: الخوف، قال: لا تَخَوفَ عليك، أنتَ آمِنٌ بأمانِ الله عزّ وجلّ. فرجعت إليه فسلّمت عليه فقال: اذهبْ إلى منزلك، قلت: هل لي سبيل إلى منزلي؟ والله ما أُراني أصِلُ إلى بيتي حيّاً حتى أُلْفَى فَأُقْتَلَ أو يَدْخَلَ عَلَيَّ مَنزِلي فَأُقْتَلَ، وإن عيالي لفي مواضع شتّى، قال: فاجمع عيالك في موضع وأنا أبلغ معك إلى منزلك، فبلغ معي وجعل ينادي عَليّ: أنَّ حويطباً آمِنٌ فلا يُهَيِّجْ. ثم انصرف أبو ذرّ رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال: «أَوَلَيْسَ قَدْ أمن النّاسُ كُلُّهُمْ إلاّ مَنْ أَمَرْتُ بِقَتْلِهِمْ؟» قال: فاطمأننتُ ورددتُ عيالي إلى منازلهم وعاد إليّ أبو ذرّ، فقال لي: يا أبا محمد، حتى متى؟! وإلى متى؟! قد سُبقت في المواطن[2] كلّها وفاتكَ خيرٌ كثيرٌ وبقي خيرٌ كثيرٌ، فأتِ رسول الله ﷺ فأسلِم تَسْلَم ورسولُ الله ﷺ أبرُّ الناس، وأوصلُ الناس، وأحلم الناس، شرفه شرفك، وعزّه عزّك. قال: قلت: فأنا أخرج معك فآتيه، فخرجت معه حتى أتيتُ رسول الله ﷺ بالبطحاء وعنده أبو بكر وعمر فوقفت على رأسه وسألتُ أبا ذر: كيف يقالُ إذا سُلِّمَ عليه؟ قال: قل: السّلامُ عليك أيّها النبيُّ ورحمة الله وبركاته فقلتها، فقال: «وَعَلَيْكَ السّلامُ حُوَيْطِبُ». فقلت: أشهد أن لا إله إلا اللّهُ وأنّكَ رسولُ الله، فقال رسول الله ﷺ: «الحمدُ للّهِ الّذِي هَدَاكَ». قال: وسُرَّ رسولُ الله بإسلامي، واستقرضني مالاً فأقرضته أربعين ألف درهم وشهدتُ معه حنيناً والطائف وأعطاني من غنائم حُنَين مائةَ بعيرٍ.

وأخرجه أيضاً ابن سعد في الطبقات من طريق المنذر بن جَهْم وغيره عن حويطب نحوه، كما في الإصابة (١/ ٣٦٤).

وأخرج الحاكم أيضاً (٣/ ٤٩٢) عن إبراهيم بن جعفر بن محمود بن محمد بن سلمة الأشهلي عن أبيه ـ فذكر الحديث، وفيه: ثم قال حُويطب: ما كان في قريش أحدٌ من كبرائها الذين بَقُوا على دين قومهم إلى أن فتحت مكة أكرهَ لما فتحت عليه مني ولكنَّ المقادير!!. ولقد شهدتُ بدراً مع المشركين فرأيت عِبَراً فرأيتُ الملائكة تقتل وتأسر[3] بين

(١) الخلّة: الصداقة والمحبة المتخلّلة في القلب.

(٢) المواطن: المشهد من مشاهد الحرب.

(٣) تأسر: أي تأسر الكفار وتقيّدهم.

السماء والأرض، فقلت: هذا رجل ممنوع، ولم أذكر ما رأيت لأحدٍ[١] فانهزمنا راجعين إلى مكة، فأقمنا بمكة وقريش تُسَلِّمُ رجلاً رجلاً. فلمَّا كان يوم الحديبية حضرتُ وشهدت الصُّلحَ ومشيت فيه حتى تمَّ، وكل ذلك يزيد الإسلام ويأبى الله عزّ وجلّ إلا ما يريد، فلما كتبنا صلح الحديبية كنت آخر شهوده، وقلت: لا ترى قريش من محمد إلا ما يسوؤها قد رضيت إن دافعته بالرماح. ولمَّا قدم رسول الله ﷺ لعمرة القضاء وخرجَتْ قريشٌ من مكة كنت فيمن تخلَّف بمكة أنا وسهيل بن عمرو لأن نخرج رسول الله ﷺ إذا مضى الوقت، فلما انقضت الثلاث أقبلت أنا وسهيل بن عمرو فقلنا قد مضى شرطُكَ فاخرج من بلدنا، فصاح يا بلال، «لا تَغِبِ الشَّمْسُ وواحد مِنَ المسلمينَ بمكَّةَ مِمَّنْ قَدِمَ مَعَناه».

قصة إسلام الحارث بن هشام رضي الله عنه

أخرج الحاكم (٣/ ٢٧٧) عن عبد الله بن عكرمة قال: لما كانَ يوم الفتح دخل الحارث بن هشام وعبدُ الله بن أبي ربيعة على أمِّ هانىء بنتِ أبي طالب رضي الله عنها فاستجارا بها فقالا: نحن في جِوارك، فأجارَتْهما. فدخلَ عليهما عليُّ بن أبي طالب فنظَر إليهما فشَهَرَ[٢] عليهما السَّيفَ فتفلَّتَ عليهما واعتنقته وقالت: تصنعُ بي هذا مِنْ بَيْنِ النَّاسِ؟! لَتبدأنَّ بي قَبْلَهما. فقال: تُجيرين[٣] المشركين؟ فخرج، قالت أم هانىء: فأتيتُ رسول الله ﷺ فقلت: يا رسولَ الله! ما لقيتُ من ابن أمي عليٍّ؟! ما كدت أفلت منه!! أجرت حَمْوَيْنِ[٤] لي من المشركين فانفلتَ عليهما ليقتلهما. فقال رسول الله ﷺ: «ما كانَ ذلكَ لَهُ قَدْ أَجَرْنا مَنْ أَجَرْتِ، وَأَمَّنَّا مَنْ أَمَّنْتِ». فرجعت إليهما فأخبَرْتُهما فانصرفا إلى منازلهما فقيل لرسول الله ﷺ: الحارث بن هشام وعبد الله بن أبي ربيعة جالسان في ناديهما مُتَنَضِّلَيْنِ[٥] في الملاء[٦] المزعفرة؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا سبيلَ إليهما قد أَمَّنَّاهما»، قال الحارث بن هشام: وجعلت أستحيي أن يراني رسول الله ﷺ، وأذكرُ رؤيته إياي في كل موطن من المشركين ثم أذكر برَّه ورحمته فألقاه وهو داخل المسجد فتلقَّاني بالبشر، ووقف حتى جئته فسلَّمت عليه وشهدت شهادة الحق، فقال: «الحمدُ للهِ الذي هَداكَ، ما كان مِثْلُكَ يَجْهلُ الإسلام». قال الحارث: فوالله! ما رأيتُ مثل الإسلام جُهِلَ.

---

(١) في الأصل «أحداً» والصواب لأحد كما هو الظاهر.

(٢) شهر السيف: سله فرفعه.

(٣) في الأصل «تجيرين» والصواب «تجيرين» أي تؤمنين.

(٤) الحمو: هو كل قريب للزوج.

(٥) متنضلين: أي مفتخرين.

(٦) الملاء: الإزار.

قصة إسلام النضير بن الحارث العبدري رضي الله عنه

أخرج الواقدي عن إبراهيم بن محمد بن شُرحبيل العبدري[١] عن أبيه قال: كان النَضيرُ بن الحارث من أعلم الناس وكان يقولُ: الحمد لله الذي أكرمنا بالإسلام ومنَّ علينا بمحمد ـ ﷺ ـ ولم نَمُتْ على ما مات عليه الآباء، لقد كنت أُوضِعُ مع قريش في كل وجهة حتى كان عام الفتح وخرج إلى حُنين فخرجنا معه ونحن نريد إن كانت دَبْرة[٢] على محمد أن نُعِينَ عليه فلم يمكنا ذلك، فلما صار بالجِعِرّانة فوالله، إني لعلى ما أنا عليه إن شعرتُ إلاَّ برسول الله ﷺ تلقَّاني بفَرْحَةٍ، فقال: «النَّضير؟» قلتُ: لبيك. قال: «هذا خَيرٌ ممَّا أَرَدْتَ يَومَ حُنَيْنٍ!!» قال: فأقبلت إليه سريعاً فقال: «قَدْ آنَ لَكَ أَنْ تُبْصِرَ ما أَنْتَ فِيهِ». فقلت: قد أرى فقال: «اللَّهُمَّ! زِدْهُ ثَباتاً» قال: فوالذي بعثه بالحق لكانَ قلبي حجراً ثباتاً في الدين ونصرة في الحق. ثم رجعت إلى منزلي فلم أشعر إلا برجل من بَني الدَّوْل يقول: يا أبا الحارث، قد أَمَرَ لكَ رسول الله ﷺ بمائة بعير فأجِزْ لي[٣] منها فإنَّ عَلَيَّ دَيْناً، قال: فأردتُ أن لا آخذها وقلت: ما هذا منه إلا تألُّف، ما أُريد أن أرْتَشِي على الإسلام، ثم قلت: والله، ما طلبتها ولا سألتُها فقبضتُها وأعطيتُ الدَّوْليَّ منها عشراً. كذا في الإصابة (٣/٥٥٨).

قصة إسلام ثقيف أهل الطائف

انصرافه ﷺ عن ثقيف وإسلام عروة بن مسعود

ذكر ابن إسحاق: أنَّ رسول الله ﷺ لمَّا انصرف عن ثقيفٍ اتَّبَعَ أثرَه عُرْوَةُ بنُ مسعودٍ حتى أدركه قبل أن يَصِلَ إلى المدينة فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام. فقال له رسول الله ﷺ: «إنَّهُمْ قاتِلُوكَ» ـ وعرف رسول الله ﷺ أنَّ فيهم نخوة الامتناع للذي كان منهم ـ، فقال عُرْوَةُ: يا رسولَ الله! أنا أَحَبُّ إليهم من أبكارهم[٤]، وكان فيهم كذلك محبباً مطاعاً.

دعوة عروة لقومه إلى الإسلام واستشهاده في الله

فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء أن لا يخالفوه بمنزلته فيهم، فلما أشرف على علية[٥] له ـ وقد دعاهم إلى الإسلام وأظهر لهم دينه ـ رَمَوْهُ بالنَّبل من كلِّ وجه، فأصابه

---

(١) العبدري: نسبة إلى بني عبد الدار، بطن من قريش.
(٢) دبرة: أي هزيمة.
(٣) أي أعطني جائزة.
(٤) الأبكار: الجواري العذارى.
(٥) العلية: الغرفة في الطابق الثاني من الدار.

سهمٌ فقتله. فقيل لعروة ما ترى في دمك[١]؟ قال: كرامة أكرمني الله بها، وشهادة ساقها الله إليّ، فليس فيّ إلاّ ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أنْ يرتحل عنكم فادفنوني معهم، فدفنوه معهم. فزعموا أنَّ رسول الله ﷺ قال فيه: «إن مَثَلَهُ في قَوْمِهِ كَمَثَلِ صَاحِبِ ياسين[٢] في قومه».

إرسال ثقيف عبد ياليل بن عمرو وفداً إليه عليه السلام وخبرهم معه

ثم أقامَتْ ثَقيف بعد قتل عروة أشهراً، ثم إنَّهم ائتمروا بينهم ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا ثم أجمعوا على أن يرسلوا رجلاً منهم فأرسلوا عبد ياليل بن عمرو ومعه اثنان من الأحلاف وثلاثة من بني مالك، فلما دنوا من المدينة ونزلوا قناة أَلْفَوْا المغيرةَ بن شُعْبة يرعى في نَوْبته ركاب[٣] أصحاب رسول الله ﷺ، فلما رآهم ذهبَ يشتدّ ليبشّر رسول الله ﷺ بقدومهم، فلقيه أبو بكر الصديق رضي الله عنه فأخبره عن ركب ثقيف أن قدموا يريدون البيعةَ والإسلام إنْ شرط لهم رسول الله شروطاً، ويكتبوا كتاباً في قومهم. فقال أبو بكر للمغيرة: أقسمت عليك لا تسبقني إلى رسول الله ﷺ حتى أكون أنا أحدّثه، ففعلَ المغيرةُ فدخلَ أبو بكر فأخبر رسول الله ﷺ بقدومهم، ثم خرج المغيرة إلى أصحابه فَرَوَّحَ الظَّهْرَ معهم، وعلّمهم كيف يُحَيُّونَ رسولَ الله ﷺ فلم يفعلوا إلاّ بتحية الجاهلية. ولمَّا قدموا على رسول الله ﷺ ضربت عليهم قُبة في المسجد وكان خالد ابن سعيد بن العاص هو الذي يمشي بينهم[٤] وبين رسول الله ﷺ فكان إذا جاءهم بطعام من عنده لم يأكلوا منه حتى يأكلَ خالدُ بن سعيد قبلهم[٥]، وهو الذي كتب لهم كتابهم، قال: وكان ممّا اشترطوا على رسول الله ﷺ أنْ يدعَ لهم الطاغية[٦] ثلاثَ سنين، فما برحوا يسألونه سنة سنة ويأبى عليهم حتى سألوه شهراً واحداً بعد مقدمهم ليتألّفوا سُفَهَاءهم فأبى عليهم أن يدعها شيئاً مسمّى؛ إلاّ أنْ يبعث معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة ليهدماها وسألوه مع ذلك أن لا يصلّوا وأن لا يكسروا أصنامَهُمْ بأيديهم. فقال: «أمّا كَسْرُ

(١) في الأصل دينك والتصويب من «الطبري».
(٢) صاحب ياسين. هو حبيب النجار، لما دعا قومه للإيمان قتلوه.
(٣) الركاب: الإبل المركوبة أي المحمّلة.
(٤) يمشي بينهم: أي هو الوسيط بينهم كالسفير.
(٥) في الأصل «قبله» والتصويب من «البداية».
(٦) الطاغية: أي الأصنام وغيرها ويريدون بذلك اللات حيث كان صنمها عندهم.

أصْنامِكُم بأيْدِيكُمْ فَسَنُغَيِّكُم، وَأمّا الصَّلاةُ فلا خَيرَ في دِينٍ لا صلاةَ فيهِ» فقالوا: سنؤتيكها وإن كانت دناءة[١].

وقد أخرج أحمد عن عثمان بن أبي العاص: أن وفد ثقيف قدموا على رسول الله ﷺ فأنزلهم المسجد ليكون أرقَّ لقلوبهم، فاشترطُوا على رسول الله ﷺ أن لا يُحشروا[٢] ولا يُعشّروا[٣]، ولا يُجَبُّوا[٤]، ولا يستعملَ عليهم غيرهم. فقال رسولُ الله ﷺ: «لَكُمْ أن لا تُحْشَرُوا، وَلا تُجَبُّوا، ولا يُستَعْمَلَ عَلَيكُم غَيرُكُمْ، ولا خَيرَ في دِينٍ لا رُكُوعَ فيهِ». وقال عثمان بن أبي العاص: يا رسولَ اللهِ! علّمني القرآن واجعلني إمام قومي. وقد رواه أبو داود أيضاً.

وأخرج أبو داود أيضاً عن وَهْب سألتُ جابراً رضي الله عنه عن شأن ثقيف إذ بايَعَتْ، قال: اشْتَرَطَتْ على رسول الله ﷺ أن لا صَدَقَةَ عليها ولا جِهادَ، وأنه سمع رسول الله ﷺ يقول بعد ذلك: «سَيَتَصَدَّقُونَ وَيُجاهِدُونَ إذا أَسْلَمُوا» ـ انتهى من البداية (٥/ ٢٩) مختصراً.

وأخرج أحمد وأبو داود وابن ماجه عن أوس بن حذيفة رضي الله عنه قال: قدمنا على رسول الله ﷺ في وفد ثقيف قال: فنزلت الأحلافُ على المغيرة بن شُعبة رضي الله عنه، وأنزل رسول الله ﷺ بني مالك في قُبَّةٍ له كلَّ ليلة يأتينا بعد العِشاءِ يُحَدِّثنا قائماً على رجليه حتى يراوح[٥] بين رجليه من طول القيام. فأكثر ما يحدّثنا ما لقي من قومه من قريش ثم يقول: «لا آسى[٦]، وكنّا مُسْتَضْعَفِينَ مُسْتَذَلِّين بِمَكّةَ. فَلَمّا خرجْنا إلى المدينةِ كانَتْ سِجالُ الحَرْبِ بَيْنَنا وَبَيْنَهُمْ نُدالُ عَلَيهِمْ وَيُدالُونَ عَلَينا» فَلَمّا كانَتْ ليلة أبطأ عنا الوقت الذي كان يأتينا فيه فقلنا: لقد أبطأت علينا الليلة؟ فقال: «إنّهُ طَرأ عَلَيَّ جُزْئي مِنَ القُرآنِ فَكَرِهْتُ أن أجِيءَ حَتّى أُتِمَّهُ». كذا في البداية (٥/ ٣٢) وأخرجه ابن سعد (٥/ ١٥٠) عن أوس رضي الله عنه بنحوه.

دعوة الصحابة رضي الله عنهم للأفراد والأشخاص

دعوة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

قال ابن إسحاق: فلمّا أسلم أبو بكر رضي الله عنه وأظهر إسلامه دعا إلى الله عزّ

---

(١) الدناءة: الخساسة، ويريدون أنّ السجود في الصلاة حيث يعلو الإست وينخفض الرأس.
(٢) لا يحشروا: أي أن لا يندبوا إلى الغزو.
(٣) يعشروا: أي أن لا يؤخذ منهم عشر أموالهم.
(٤) لا يُجَبُّوا: لا يركعوا أي أن لا يصلّوا.
(٥) يراوح: أن يعتمد على رجل ويريح الأخرى برفعها. (٦) لا آسى: لا أحزن.